سلسلة شروح فضيلة الشيخ ٣

شرح فضل الإسلام

تصنيف الإمام

محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي

المتوفى سنة (١٢٠٦) رحمه الله تعالى

لفضيلة الشيخ الدكتور

عبد الله بن عبد العزيز العنقري

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

الشيخ لم يراجع التفريغ

بإشراف الشيخ التعليق الميسر

العنقري

شرح

فضل الإسلام

alanqri drangari

للإعلام بالأخطاء الطِّباعية والاستدراكات والاقتراحات؛

يرجى المراسلة على البريد التالي:

tafreeghalangri@gmail.com

سلسلة شروح فضيلة الشيخ (٣)

شرح

فضل الإسلام

تصنيف الإمام

محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي

المتوفى سنة (١٢٠٦) رحمه الله تعالى

لفضيلة الشيخ الدكتور

عبد الله بن عبد العزيز العنقري

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

النسخة الأولى

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ:

فهٰذا المجلس الأول في شرح الكتاب الرابع من «برنامج التعليم الميسر»، والكتاب الرابع هو: «**فضل الإسلام**» للإمام محمد بن عبد الوهاب التميمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، المتوفى سنة ست بعد المائتين والألف من الهجرة، والمقام في مسجد النخيل بالرياض، آخر عصر الجمعة، في الثامن من جمادى الأولى لعام ستة وثلاثين وأربعمائة وألف من الهجرة، ويشرح الكتاب فضيلة الشيخ الدكتور/ عبد الله بن عبد العزيز العنقري وفقه الله.

الشَّرْحُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أَمَّا بَعْدُ:

❁ **قال المؤلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**باب فضل الإسلام**، وقول الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾ [يونس: ١٠٤]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [الحديد: ٢٨].

وفي الصحيح عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ أُجَرَاءَ فَقَالَ مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ غُدْوَةَ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ فَعَمِلَتْ الْيَهُودُ ثُمَّ قَالَ مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلاةِ الْعَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ فَعَمِلَتْ النَّصَارَى ثُمَّ قَالَ مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ صلة الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ عَلَى قِيرَاطَيْنِ؟ فَأَنْتُمْ هُمْ. فَغَضِبَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَقَالُوا مَا لَنَا أَكْثَرَ عَمَلاً وَأَقَلَّ عَطَاءً؟ قَالَ هَلْ نَقَصْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ شيئا قَالُوا: لا ، قَالَ: ذَلِكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ».

وفيه أيضًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَضَلَّ اللهُ عَنْ الْجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ وِلِلنَّصَارَى يَوْمُ الأَحَدِ فَجَاءَ اللهُ بِنَا فَهَدَانَا اللهُ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ وَكَذَلِكَ هُمْ تَبَعٌ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ. نَحْنُ الآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا وَالأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». وفيه تعليقًا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللهِ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ».

وعن أبي بن كعب ﷺ قال: «عليكم بالسبيل والسُنة فإنه ليس من عبد على سبيل وسُنة ذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله فتمسه النار، وليس من عبد على سبيل وسُنة ذكر الرحمن فاقشعر جلده من خشية الله إلا كان مثله كمثل شجرة يبس ورقها فبينما هي كذلك إذ أصابتها الريح فتحات عنها ورقها، إلا تحاتت عنه ذنوبه كما تحات عن هذه الشجرة ورقها، وإنّ اقتصاداً في سبيل وسُنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسُنة».

وعن أبي الدرداء ﷺ قال: «يا حبذا نوم الأكياس وإفطارهم كيف يغبنون سهر الحمقى وصومهم، ولمثقال ذرة من بر مع تقوى ويقين، أعظم وأفضل وأرجح من أمثال الجبال من عبادة المغترين».

هٰذا الكتاب عظيم جدًّا، والحاجة إليه في مثل هٰذه الأزمنة على جانب كبير من المساس؛ لأن هٰذا الدين العظيم قد شوِّه تشويهًا كبيرًا على يدي أعداء الله تعالى من اليهود والنصارى والملاحدة، وأعانهم من حيث يشعرون أو لا يشعرون أناس جهلة حمقى من المنسوبين إلى الإسلام؛ فتسببوا في تصرفات على خلاف النصوص في تشويه دين الله عَزَّوَجَلَّ والصد عنه.

❍ **وهٰذه الفترة أيها الإخوة!!** التي تمر بها البشرية فترة عجيبة في التاريخ الإنساني؛ فإن أوروبا - والعلم عند الله عَزَّوَجَلَّ- لم يمر بها فيما نعلم مثل هٰذه الفترة؛ حيث سقطت فلسفات الكفر والإلحاد التي بعد الحرب العالمية والتي قبل الحرب العالمية وصار الاتجاه نحو الإسلام عجيبًا جدًا، وصار هناك انحصار حتى للنصرانية داخل البلاد الغربية، والإقبال على الإسلام إقبال هائل ليس له نظير في سنواتهم القريبة ولا سنواتهم وقرونهم الماضية؛ ولهٰذا قال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لَا يَزَالُ اللهُ يَغْرِسُ فِي هَذَا الدِّينِ بِغَرْسٍ**».

فنصرة هٰذا الدين إلهية محضة، وهٰذا الانتشار والإقبال بالقلوب على الإسلام يستحيل أن يحال إلى دولة، أو إلى فرد، أو إلى مجموعة، أو إلى دعاة بل هو إلهي محض، وما تبذل الدول أو الأفراد أو المجموعات أسباب نافعة -ولا شك- ولكن هٰذا الإقبال على هٰذا النحو لا شك أنه إلهي.

ولهٰذا هٰذه الفترة التي فيها المسلمون فترة في غاية الأهمية، وأعداء الله عَزَّوَجَلَّ من كفرة الغرب قد أدركوا أن انتشار الإسلام فيهم -بحسب الإحصاءات الموجودة الآن، وبحسب الإحصاءات التي يستشرفونها بعد سنين- يرون أن مد الإسلام إذا استمر بهٰذه الطريقة وعلى هٰذا النحو وعلى هٰذه الوتيرة،

فإن دولًا سيكون نصف أهلها مسلمين.

❍ **وهٰذا قد يفسر للمسلم سبب هٰذه الحملة الشرسة على الإسلام**، ومحاولة التشويه قدر المستطاع لدين الله عَزَّوَجَلَّ حتى لا يصل إلى الناس إلا الصورة القاتمة البعيدة عن الهدي النبوي الصحيح، الذي بعث الله به محمدًا صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ودأبهم وسعيهم في هٰذا ليس فقط من خلال الإعلام؛ ولكنه من خلال خطط تسمى خطط الاستراتيجية بعيدة المدى، التي قد يشترك بعض حمقى المسلمين من حيث لا يشعرون في تشويه الإسلام ضمن منظومة من التخطيط الكبير لتشويه دين الله عَزَّوَجَلَّ قدر المستطاع ليوقف المد؛ لأن المد الحاصل في أوروبا لا نظير له -وفي الأرض عمومًا منذ سنوات- وتساقط المذاهب الإلحادية، وسقوط الأنظمة الاقتصادية، والويلات الهائلة التي أصابت الناس في أخلاقهم، وفي دينهم، وفي أموالهم، على يد دعاة هٰذه المذاهب الإلحادية قد سأمه الناس وملوه، وليس للأرض إلا تفريج الله تعالى بالإسلام، وهٰذا أشد عليهم من كل شديد، ولهٰذا هم يحاولون تشويه الإسلام ويجدون في الحمقى وفي البعيدين على العلم وهم يتهورون ويتصرفون تصرفات يفرحون بها هم أشد من فرحهم بأي شيء، يجدون في مثل هٰذه التصرفات أبلغ الطرق للصد عن سبيل الله، وقد قال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ -فيما ثبت عنه-: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ!! إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ**»، وحذر الله من الصد عن سبيله فقال: ﴿وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٩٤] فمن الناس من يصد عن دين الله، ولن يكتسب من دعوته وما سماه بجهاده إلا أعظم ما يكتسب من الموبقات والخطايا.

ووالله إنهم ليكتسبون بسبب صدهم عن سبيل الله أعظم مما يكتسبه المقارفون للكبائر؛ لأن من أعظم الإجرام أن يصد عن دين الله عَزَّوَجَلَّ بتصرفات فوضوية غير مبنية على منهج رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ثم تنسب زورًا وبهتانًا إلى دين الله عَزَّوَجَلَّ.

فمن هنا ينبغي على المسلمين أن يدركوا أن أمانة حمل الإسلام كبيرة في أعناقهم، وأن الله تعالى سائلهم، قال الله عَزَّوَجَلَّ في هٰذا القرآن العظيم: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزخرف] فستسأل هٰذه الأمة عن إبلاغ هٰذا القرآن، الهداية بيد الله وليس لأحد أي دخل في الهداية حتى الرسل، قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦] ما الذي على الرسل؟ ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾﴾ [النحل] علينا أن نبلغ هٰذا الدين، سليمًا كما أنزله الله تعالى، دون

تنازل عن أدنى شيء منه فإنه ليس ملكًا لنا، حتى نتنازل عن شيء منه، ودون تشويه، ودون صد، وقد ثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث أنه قال لما استُئذن في أن يضرب عنق المنافق عبد الله بن أُبي بن سلول مع أفعاله القبيحة الشنيعة في الأمة، ولما استئذن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قطع رأس الخوارج وأولهم من قال للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اعدل فإني أراك لا تعدل، ثبت أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول: «**لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ**»، فكان يراعي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ألا يتحدث الكفار عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأمر يصد الناس عن دين الله عَزَّوَجَلَّ.

فالإقبال العظيم في الأرض على الإسلام يشوه اليوم غاية التشويه، وأهل الكفر من مجرمي الصهاينة في إعلامهم وغيرهم وخططهم القديمة والحديثة هم على هٰذا الحال منذ قرون، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ﴾ [البقرة: ٢١٧] هٰذا دأبهم، إنما الإشكال أن ينضاف إليها هٰذه الحملة، مَنْ يتسمون باسم الإسلام، بل ويتسمون بأنهم أهل الحدب والحرص على الإسلام، ثم يتخذون وسائل للصد عن الإسلام؛ فهؤلاء والله جرمهم عظيم للغاية وهم يستثمرون استثمارًا كبيرًا من حيث لا يشعرون في أن يُصد الناس عن دين الله وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتحمل من ابن أُبي هٰذه الأشياء الكثيرة حتى لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه، حتى لا يصد الناس، وفي بعض الروايات: «**لا يتحدث الأمم**» الناس من حولنا؛ فكما أننا لا نرضى بأن نتنازل عن سنة واحدة من سننه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أجل أعين الكفار وليست لنا أمور الأحكام، ليست لنا حتى تطلبوا منا أن نتنازل لن نتنازل عن شيء من الاعتقاد، لا من الأقوال ولا من الأفعال، وكل ما يغيظكم في دين الله عَزَّوَجَلَّ نحن مستمسكون به وإن بلغ غيظكم ما بلغ، ما يمكن أن نتنازل، لكن لا نشوه الإسلام، ونصور الإسلام تصويرًا على خلاف هدي الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيستثمروه ويقولوا: هٰذا الدين الذي يجتاحكم الآن سيجعلكم على هٰذا النحو الفوضوي والهمجي فيصد الناس عن دين الله، فهٰذا إجرام عظيم في حق الله وهو في حق دين الله، وهو من الإفساد الكبير في الأرض.

فلهٰذا الكلام على فضل الإسلام والحاجة إليه مهمة في هٰذا الزمن لنا؛ لنتعلم ما في هٰذا الإسلام من فضل؛ فإن هٰذا من العلم؛ ولندرك ونعي أهمية أن نوصل الإسلام إلى الأمم كما أنزله الله دون تشويه.

بدأ رَحِمَهُ اللَّهُ في هٰذا الكتاب بالكلام على قوله عَزَّوَجَلَّ -بيانًا لكون هٰذا الدين له الفضل العظيم وله

المقام الكبير- قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] هٰذه آية ذات شأن كبير، فإن الله عَزَّوَجَلَّ أكمل للأمة دينها، وأتم عليها نعمته، ورضي لها هٰذا الدين العظيم وهو دين الإسلام، رضيه لها دينًا، فمن أكبر نِعَمِ الله تعالى هٰذه الآية على العباد، على أهل الإسلام، أن يُتَم لها دينها، وأن يتم عليهم نعمة الله، ويكمل لهم دينهم ويرضى لهم عَزَّوَجَلَّ هٰذا الإسلام دينًا.

ثم ذكر قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٠٤] بيانًا لكون المرء ثابت، النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ثابت، فإذا شك في دينه فإنه لا يتزحزح عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، ولا يتزعزع ويستمر على عباده ربه، ﴿فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾ [يونس: ١٠٤].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [الحديد: ٢٨] هٰذا من فضل الإسلام؛ أن من آمن بهٰذا النبي الكريم واتقى الله عَزَّوَجَلَّ من أهل الإيمان، فإن الله تعالى يؤتيه هذين النصيبين من رحمته.

ثم ذكر الحديث الصحيح في الصحيحين عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ذكر مثل هٰذه الأمة ومثل أهل الكتابين -وهم اليهود والنصارى قبلنا- هٰذه الأمة أجورها مضاعفة ولله الحمد والشكر.

قال المؤلف: «قال: مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ أُجَرَاءَ».

أي: ليعملوا في عمل عنده.

قال المؤلف: «فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ غُدْوَةَ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ».

الغدوة: هي أول الصبح، ومنه سميت صلاة الفجر صلاة الغداة، أي: من أول الصبح إلى انتصاف النهار عند الظهر.

قال المؤلف: « مَنْ يَعْمَلُ عَلَى قِيرَاطٍ».

القيراط: هو جزء من الدينار.

❁ **قال المؤلف:** «فَعَمِلَتْ الْيَهُودُ».

أي: على هٰذا الحد.

❁ **قال المؤلف:** «ثم قال: من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر».

فعملت النصارى من نصف النهار إلى العصر، على ماذا؟! على قيراط واحد أيضًا، جزء من الدينار.

❁ **قال المؤلف:** «ثم قال من يعمل لي من صلاة العصر فقط إلى أن تغيب الشمس على قيراطين اثنين».

أي: أنه أعطاهم ضعف ما أعطى اليهود وضعف ما أعطى النصارى.

❁ **قال المؤلف:** «فأنتم هم».

ولله الحمد فإن هٰذه الأمة مضاعفة الأجور، فغضبت اليهود والنصارى وقالوا: «**ما لنا أكثر عملًا**» - من حيث طول الساعات والأوقات- «**أكثر عملًا، وأقل أجرًا**».

❁ **قال المؤلف:** «هل نقصتكم من أجركم شيئًا؟».

أي: الذي اتفقت معكم عليه هل أنقصتكم منه؟ أي: أعطيتكم نصف قيراط أو ثلاثة أرباعه، ألم أعط كل واحد منكم ما اتفقت معه عليه من أن له قيراطًا؟ قالوا: لا، أنت ما أنقصتنا شيئًا إنما أعطيتنا قيراطًا إنما أعطيت غيرنا أكثر -هٰذا المعنى- قال: «**ذلك فضلي أوتيه من أشاء**».

فمن فضل الله تعالى على هٰذه الأمة، وهٰذا من أعظم النعم أن يكون الإنسان في أمة الإسلام، مسلمًا؛ فإنها نعمة كبيرة جدًا؛ لأن هٰذه الأمة قد رفعها الله تعالى قدرها وأعظم أجرها، وأكرمها بخير كتاب وخير نبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومن فضل الله عَزَّوَجَلَّ على هٰذه الأمة الحديث الثاني: «**أَضَلَّ اللهُ عَنْ الْجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا**» كانت الجمعة مفروضة على اليهود، وكانت النصارى أيضًا مفروضة عليهم الجمعة؛ فأضل الله تعالى اليهود عن الجمعة، فصاروا يسبتون -السبت-، وأضل الله تعالى النصارى فجعلوا الأحد عوضًا عن الجمعة؛ فجاءنا الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة، وكذلك هم تبع لنا؛ لأنهم ضلوا عن الجمعة التي أمرهم الله تعالى

بها وهدانا الله تعالى لها، فهم تبع لنا في الجمعة، وتبع لنا أيضًا يوم القيامة، نحن الآخرون من حيث الموقع؛ لأن ليس بعد هٰذه الأمة بتاتًا أي أمة، ونهاية هٰذه الأمة هي قيام الساعة.

۞ قال المؤلف: «نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة».

أول من يدخل الجنة هٰذه الأمة من فضل الله عَزَّوَجَلَّ، مع أنها آخر الأمم إلا أنها أول الأمم دخولًا الجنة.

۞ قال المؤلف: «أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة».

تقدم معنى الحنيفية، هٰذا الدين ولله الحمد فيه شيء كثير من الأحكام السمحة اليسيرة؛ لكن علينا أن نفهم أن السماحة ليست بالهواء، إنما السماحة وفق النصوص، فمن الناس من يستحل الحرام ويسهّل فيه ويقول من باب التسامح، لا؛ ليس هٰذا تسامحًا شرعيًا، إنما السماحة تكون وفق الأدلة الشرعية، أو من يتملص من الواجبات ويقول: الدين سمح، ليست هٰذه سماحة؛ هٰذه فوضى، إنما السماحة تكون على هدي الدين نفسه، وعلى وفق أحكامه العظيمة.

۞ قال المؤلف: «وعن أُبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «عليكم بالسبيل -أي الطريق الذي سلكه من قبلكم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن معه- السنة، بأن تلزم سنته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فإنه ليس من عبد على سبيل وسنة، ذكر الله ففاضت عيناه من خشية الله فتمسه النار».

أي: يريد منهم أن يلاحظوا أمر الإتباع حتى في أمور الزهد ورقة القلب، وأن المحمود من رقة القلب ومن الزهد ما كان ناشئًا عن لزوم السنة؛ لأنه قد يرق القلب بغير طريق سني، قد يرق القلب ويخشع بغير هدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إنما يكون الخير إذا رق القلب على وفق هدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمَنْ رق قلبه وفاضت عيناه إذا ذكر الله تعالى وهو على السبيل السوي وعلى سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإن النار لا تمسه.

۞ قال المؤلف: «ليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الله؛ فاقشعر جلده من مخافة الله».

-أي: من آثار الخوف من الله- يقشعر الجلد.

قال المؤلف: «إلا كان كمثل شجرة يابس ورقها، إلا تحاتت عنه ذنوبه كما تحات عن هٰذه الشجرة، الشجرة اليابسة إذا حركتها الريح تساقطت أوراقها».

قال: فهٰذا الذي اقشعر جلده من خشية الله عَزَّوَجَلَّ، إذا كان على السبيل والسنة فإن الذنوب تتحات منه كما تتحات الذنوب من الشجرة اليابسة.

قال المؤلف: «وإن اقتصادًا في سنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة».

الاقتصاد بأن يأتي الإنسان بالعمل الذي يطيقه ويستطيعه؛ لكنه على السنة لا ابتداع عنده هٰذا خير من الذي يجتهد اجتهادًا شديدًا وطويلًا لكن في بدعة وضلال على خلاف سبيل وسنة.

قال المؤلف: «وعن أبي الدرداء أنه مدح الأكياس، جمع الكيِّس وهو الفطن النبيه، يا حبذا نومهم وإفطارهم».

أي: حتى لو ناموا في الليل وأفطروا في النهار، كيف يغبنون سهر الحمقى وصومهم، الحمقى الذين يتعبدون على غير السنة، ويطيلون في الصلاة على غير السنة، ويصومون وهم على غير السنة، يقول: هؤلاء الذين ناموا خير من هؤلاء الذين صلوا، وهؤلاء الذين أفطروا خير من هؤلاء الذين صاموا، لِمَ؟ لأن هؤلاء على السنة وهؤلاء على البدعة.

قال المؤلف: «ومثقال ذرة مع بر وتقوى ويقين أعظم وأفضل وأرجح من عبادة المغترين».

أي: الذي يغتر بعبادته ويفخر، ويعمل العمل ويرى كأنه امتن بعمله يقول: ذرة من العمل مع حال من البر والتقوى واليقين، هي أعظم وأفضل وأرجح من عبادة من اغتروا بعملهم.

وَاللهُ أَعْلَمُ؛ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ[1].

---

(١) نهاية المجلس الأول.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بَعْدُ:

۞ **قال المؤلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**باب وجوب الإسلام، وقول الله تعالى:** ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران:٨٥]، وقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وعَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» أخرجاه، وفي لفظ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»، وللبخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قال: قال رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلا مَنْ أَبَى قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ وَمَنْ يَأْبَى قَالَ مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى». وفي الصحيح عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ-﵄- أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللهِ ثَلاثَةٌ مُلْحِدٌ فِي الْحَرَمِ وَمُبْتَغٍ فِي الإِسْلامِ سُنَّةَ جَاهِلِيَّةٍ وَمُطَّلِبُ دَمِ امْرِئٍ مسلم بِغَيْرِ حَقٍّ لِيُهَرِيقَ دَمَهُ». رواه البخاري.

قال ابن تيمية-رَحِمَهُ ٱللَّهُ- قوله «سُنة الجاهلية»: يندرج فيها كل جاهلية مطلقة أو مقيدة، أي: في شخص دون شخص، كتابية أو وثنية، أو غيرهما من كل مخالفة لما جاء به المرسلون.

وفي الصحيح عن حُذَيْفَةَ ﵁ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْقُرَّاءِ اسْتَقِيمُوا فإن استقمتم فَقَدْ سَبقتم سَبْقًا بَعِيداً فَإِنْ أَخَذْتُمْ يَمِينًا وَشِمَالا لَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضلالا بَعِيداً».

وعن محمد بن وضاح: أنه كان يدخل المسجد فيقف على الحِلَق فيقول: فذكَرهُ، وقال: أنبأنا سفيان بن عيينة عن مجالد عن الشعبي عن مسروق قال: قال عبد الله يعني ابن مسعود ﵁ : «ليس عام إلا والذي بعده شر منه، لا أقول عام أمطر من عام، ولا عام أخصب من عام، ولا أمير خير من أمير، لكن ذهاب علمائكم وخياركم ثم يحدث أقوام يقيسون الأمور بآرائهم فيهدم الإسلام ويثلم».

هٰذا الباب أعقبه بالباب الأول.

الباب الأول بدأه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالكلام على فضل الإسلام، وأن من نعمة الله تعالى أن يجعل العبد من أهله، وأن له لهٰذه الدين مزية على كل ما سواه من الأديان، يتحدث في هٰذا الباب في وجوب التدين لله بالإسلام فقط دون غيره، وأنه واجب على الجن والإنس أجمعين ليس لأحد أن يخرج عن هٰذا الدين فمن لقي الله تعالى بغيره فإنه هالك في الآخرة.

قال المؤلف: «باب وجوب الإسلام وقول الله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥]».

فمن لقي الله عَزَّوَجَلَّ بغير الإسلام؛ فإنه لا يمكن أن يتقبل منه، وهو في الآخرة هالك خاسر.

تقدم أن الإسلام يطلق ويراد به معنيان اثنان:

- **المعنى الأول:** الإطلاق العام، وهو الإسلام الذي تجتمع فيه جميع دعوات المرسلين عليهم الصلاة والسلام، ولهٰذا يذكر الله تعالى الإسلام عن إبراهيم ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾ [آل عمران: ٦٧]، وقال الله تعالى أيضًا: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣] فالإسلام هنا يشمل جميع الأنبياء وهو إخلاص العبادة لله وحده، فهٰذا الإسلام العام.

- **المعنى الثاني:** وثمة إسلام خاص وهو الذي بعث الله به محمدًا، صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فمن لقي الله بعد بعثة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بغير الدين الذي بعث الله به محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فإن الله لا يتقبله منه، حتى وإن كان على دين سابق، فإن الأديان السابقة؛ كدين موسى الذي أنزل الله عليه التوراة، أو دين عيسى الذي أنزل الله تعالى عليه الإنجيل مؤقتة بوقت، وهم يعلمون هٰذا علمًا تامًا وهو عهد أُخذ عليهم في كتبهم، ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران: ٨١] فأخذ الله على كل رسول إذا بعث رسولًا وأدركه ذاك الرسول أن يؤمن به وأن يتبعه وأن يصدقه، وأمر الله المرسلين أن يأخذوا على أقوامهم هٰذا العهد، فأخذ الأنبياء صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أقوامهم هٰذا العهد، فمن هنا لزم بني إسرائيل -سواء ممن كانوا على شريعة التوراة أو من كانوا على شريعة

الإنجيل- لزمهم جميعًا أن يتبعوا محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالعهد الذي أخذ عليهم في كتبهم هم؛ فإن أبوا فقد كفروا بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكفروا برسلهم أيضًا، وكفروا بكتبهم؛ لأن هٰذا عهد أخذ عليهم في كتبهم فإذا لم يلتزموه فإنهم يكونون قد نقضوا ما عاهدوا الله تعالى عليه.

لما بعث الله محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -كما تقدم في الكتاب السابق- أن الله تعالى لما بعث محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان الناس على قسمين:

- **القسم الأول:** أهل كتاب وهم اليهود والنصارى.
- **القسم الثاني:** من لا كتاب لهم ممن كانوا يعبدون الأوثان والملائكة والأشجار والأحجار والأنبياء والصالحين كما تقدم بيانه.

الذين كانوا زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أهل الكتاب قلنا إنهم انقسموا إلى فريقين:

- **الأول:** فريق انصاع للعهد الذي أخذ عليهم وقالوا هٰذا الذي كانت تبشرنا به أنبياؤنا عليهم الصلاة والسلام فآمنوا برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودخلوا في دينه فآتاهم الله عَزَّوَجَلَّ أجرهم مضاعفًا، باتباعهم نبيهم الأول، واتباعهم لمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فالكتابي الذي يصنع هٰذا يعطى أجره مرتين.
- **الثاني:** أما مَن أبوا وقالوا نستمسك بديننا فكذبوا هم ما آمنوا بالنبي الذي أرسل وهو محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يصدقوا ويعملوا بما أمرتهم به أنبياؤهم عليهم الصلاة والسلام فمن هنا كفروا بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكفروا بأنبيائهم أيضًا.

۞ **قال المؤلف:** «قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾».

فمن لقي الله عَزَّوَجَلَّ بدين يتدين به يرجو أن يرفعه الله عَزَّوَجَلَّ به درجة وهو غير الإسلام؛ فإن الله تعالى لن يقبله قال تعالى: ﴿وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ هو في الآخرة من أهل الخسران ولم يربح بل سيعطب ويهلك.

وبيّن تعالى صراطه الذي ارتضاه وهو طريقه وسبيله الذي بيّنه فقال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

❍ **الصراط المستقيم**: هو الطريق المستقيم الذي بعث الله به محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أمر الله باتباعه ثم حذر من اتباع أي طرق سواه.

❁ **قال المؤلف**: «فقال: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾».

أي: لا تتبعوا الطرق الأخرى فيتسبب اتباعها في أن تتفرقوا عن السبيل الذي ارتضاه الله تعالى لكم، ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى﴾ فجعل الصراط مضافًا إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأما السبل الأخرى فكما في الحديث على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، وقد خط النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطًا مستقيمًا -كما في حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وقال: «**هٰذا صراط الله**» وخط عن يمين الخط المستقيم هٰذا خطوطًا وعن شماله خطوطًا، وقال: «**هٰذه سبل أي طريق على كل سبيل منها شيطان يدعو إليها**» فمن حاد عن دين محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعن سنته وطريقه إلى بدع وضلالات وشبهات؛ فإنه يكون قد ركب طريقًا عليه شيطان من الشياطين يدعو إليه، ثم إن الشيطان كما قال الأوزاعي لا يبالي بأي طريق سلك وهلك هٰذا الذي أبعد عن الصراط المستقيم، كما جاء عنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن للشيطان محجتين لا يبالي بأيهما سلك العبد، محجتين أي: طريقين، إفراط أو تفريط، هو يريد أن يصد عن الصراط المستقيم، كون هٰذا الإنسان يفرط ويبالغ ويتجاوز لا يهم الشيطان، المهم أن يبعد عن هٰذا الصراط، أو كونه يُفرّط ويقصر ويجهو لا يهم الشيطان المهم أن يزول كما قال تعالى مبينًا ما توعد به عدو الله فقال: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف: ١٧] فيصد الشيطان عن هٰذا السبيل ولا يكترث أن يركب الإنسان طريق الخوارج أو الروافض أو الجهمية، أو أن يتهود أو يتنصر أو يلحد، المهم أن يصد عن السنة التي بعث الله بها محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم كونه كما قال الأوزاعي يتجه إلى أهل الإفراط أو إلى أهل التفريط لا يبالي الشيطان بهٰذا، المهم أن يصد عن السبيل الطريق الذي قال الله عَزَّوَجَلَّ لنبيه: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾ أي: طريقي ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [الأنعام: ١٠٨].

فمن أراد السلامة والتوفيق في دنياه وأخراه فليزم سبيل محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وليدع إلى ما دعا إليه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبالطريق الذي دعا به وبالأسلوب الذي دعا به محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنه قال: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾ [الأنعام: ١٠٨] فهٰذا هو الصراط المبيَّن.

ولهٰذا فسر مجاهد السبل في قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ قال: «السبل البدع والشبهات».

وأنت تعلم أن البدع منوعة، وأن الشبهات منوعة فمنها بدعة تنحوا منحى الإفراط، وبدعة تنحوا منحى التفريط وهكذا الشبهات، شبهات لأهل الإفراط ولأهل التفريط، هٰذه سبل وطرق تصد عن سبيل الله عَزَّوَجَلَّ، فليلزم السبيل الذي بعث الله به محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإلا فالعطب والهلاك.

ثم ذكر حديث عائشة المشهور في الصحيحين أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا» أي: في ديننا هٰذا المراد « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» أي: مردود على صاحبه.

فمن أحدث أي ابتدع واخترع شيئًا لم يأت به محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فإن ذلك مردود عليه وإن بذل فيه ماله وإن أجهد فيه نفسه، وإن قطع فيه الطرق مسافرًا ذاهبًا آيبًا، وإن قام فيه ليلة وصام فيه نهاره وهو على غير الطريق الذي شرعه الله عَزَّوَجَلَّ فإن ذلك كله مردود عليه؛ وذلك لأنه حاد عن الطريق المستقيم، من أحدث أي اخترع وابتدع في أمرنا أي في ديننا وفيما بعث الله به محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما ليس منه، والذي منه هو الذي في القرآن وفي السنة، فهو رد أي مردود عليه، وفي اللفظ الآخر: «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» أي: مردود.

۞ قال المؤلف: «وللبخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلا مَنْ أَبَى».

أي: رفض وامتنع؛ فاستغرب الصحابة وقالوا: ومن يأبى أن يدخل الجنة؟ تأمل الجواب، ما قال: «من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني دخل النار» قال: «**من أطاعني دخل الجنة**» وهٰذا واضح أنه لا طريق إلى الجنة إلا بطاعة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد رحمة الله.

قال المؤلف: «قال: ومن عصاني».

فإلى أين سيذهب؟! المعصية طريق من طرق النار، لا يمكن أن توصل المعصية إلى الجنة وأن توصل إلى النعيم المقيم، وإلى رضا الله فأين ستذهب بالعبد المعصية؟ ستذهب به إلى غضب الله وإلى النار، قال: «**ومن عصاني فقد أبى**» أبى لأنه يعلم أنه إذا عصى الله تعالى فإن المعصية تحول بينه وبين الجنة إلا أن يعفوا الله عنه، فلهٰذا قال: ومن عصاني فقد أبى، فدل على أن المعصية من أكبر ما يحجب العبد عن الجنة عياذًا بالله، وسواء كانت المعصية في ركوب المحرمات والجرأة عليها، أو كانت المعصية بالتفريط فيما أوجب الله.

ثم ذكر حديث ابن عباس رضي الله عنهما وهو في البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللهِ ثَلاثَةٌ» أي: هؤلاء الأصناف الثلاثة يبغضهم الله عز وجل بغضًا عظيمًا، وفيه إثبات صفة البغض لله على ما يليق بجلاله وعظمته.

- **الصنف الأول:** «مُلْحِدٌ فِي الْحَرَمِ».

أصل الإلحاد الميل، والبينونة عن الطريق السوي، فمن ألحد ومال عما ينبغي؛ فإنه عاص وقد أساء غاية الإساءة، فإذا كان هٰذا الإلحاد في الحرم فإن له شأنًا أشد وأقبح؛ فإن المعصية في الحرم أقبح منها في غير الحرم؛ إذ الحرم له أحكام عظيمة جدًّا حتى إنه لا ينفر الصيد فيه، الصيد وهو مما يصاد خارج الحرم ويأكله الناس يراه الإنسان ليس له أن يثيره، وليس له أن يتعرض له؛ لأن للحرم مقامًا وأحكامًا عظيمة جدًا، ثم يأتي ليلحد في الحرم هٰذا أبغض الناس إلى الله، هٰذا الصنف الأول.

- **الصنف الثاني:** «وَمُبْتَغٍ فِي الإِسْلامِ سُنَّةَ جَاهِلِيَّةٍ».

بعد أن منَّ الله على الأمة بالسنة وأزاح عنها الجاهلية الجهلاء التي نهى الله تعالى عن ركوب طريقها، هٰذا المفسد في الأرض يأتي وقد من الله تعالى على الناس بالنور المبين وبالصراط المستقيم ليحيي أمور الجاهلية ويبتغيها وينشرها في المسلمين، فلا شك في عظم جرمه؛ لأن الجاهلية أصناف منها شرك أكبر، ومنها عادات قبيحة وسيئة مرتبطة بالأعراض، وبعضها مرتبط بخفر العهود، وبعضها قطيعة أرحام، الذي سيعيدها بعد أن من الله تعالى على الأمة بالعافية من الجاهلية لا شك أنه قد أجرم إجرامًا عظيمًا، فمن ابتغى في الإسلام سنة الجاهلية فإنه من الأصناف الثلاثة الذين هم أبغض الناس إلى الله.

❍ **الصنف الثالث: «وَمُطَّلِبُ دَمِ امْرِئٍ مسلم».**

أي: يطلب أن يريق دم مسلم وأن يقتله ويريق دمه بغير حق، يتطلب هٰذا المسلم يبحث عنه يريد إهراق دمه بغير حق.

والدماء أيها الإخوة!! هي أعظم ما عصي الله تعالى به بعد الشرك كما قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الأم: «وجدنا الدماء أعظم ما عصي الله به بعد الشرك»، الشرك كما تقدم أعظم الذنوب، قتل المسلم بغير حق هٰذا له شأن عظيم جدًّا في البشاعة من جهة الذنب، ولهٰذا هو أعظم الذنوب بعد الشرك، وقتل النفس بغير حق سواء أكانت نفس مسلم وهٰذا أشنع وأشد وأفظع أو كانت نفسًا معصومة، ومعنى النفس المعصومة التي عصم الشرع صاحبها أن يراق دمه وإن كان كافرًا كالمعاهد، حتى قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من قتل معاهدًا لم يجد رائحة الجنة**» مع أن القاتل مسلم موحد والمعاهد كافر، لكن لما أعطي عهد الله عَزَّوَجَلَّ فجاء هٰذا ونكث العهد الذي أعطي لهٰذا الرجل، صار قتل هٰذا الموحد لهٰذا المشرك سببًا من أسباب حجب الموحد عن دخول الجنة، من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة، فإذا اطلب دم مسلم كان ذلك أشنع وأبشع، فهٰذا الصنف الثالث الذي يطلب دم مسلم ليريق دمه بغير حقه هٰذا هو الصنف الثالث الأبغض من الله عَزَّوَجَلَّ.

وبه تعلم غربة الإسلام، وشدة ما أصاب كثيرًا من الناس مما هو أشبه بالعمى من استسهال الدماء، الدماء أيها الأخوة أعظم من فاحشة الزنا وأعظم من شرب الخمر، وأعظم من السرقة، وأعظم من جرائم كثيرة جدًّا يتورع عنها الناس عادة، فمن حيل الشيطان الخبيثة أن يجعل هؤلاء الذين يتورعون عن هٰذه الكبائر يقعون في أشدها بعد الشرك وهٰذا من العجائب، ومن أشد الأمور دلالة على خطورة أن يتصرف الإنسان بلا علم، فإن الإنسان قد يمكث سنين من عمره لم يسرق، ولم يزني ولم يخطر بباله الزنا، ثم إذا جاء أمر الدم الذي هو أشد من هٰذه الكبائر استسهله؛ فأوقعه الشيطان في الكبيرة الأعظم بعد الشرك وهو يتورع عن الكبائر التي هي دونها؛ فنال منه الشيطان -من حيث لا يشعر- نال منه مراده وهو يتورع عما هو أصغر ويقع فيما هو أكبر.

ولهٰذا جاء عنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**أن العبد إذا قتل يأتي في القيامة يشكب رأسه دمًا**» -وللقيامة أحكامها- رأسه في يده يقول: يا رب سل هٰذا فيما قتلني، فيقول الله عَزَّوَجَلَّ: لم قتلته؟ فيقول: قتلته ليكون

الملك لفلان، أي: أن القتال قتال على الملك، وفي اللفظ الآخر: قتلته لتكون العزة لفلان، قال الله عَزَّوَجَلَّ: في أول الحديث أن الرجل يأتي فيقول الله عَزَّوَجَلَّ لمَ قتلته؟ فيقول: قتلته لتكون العزة لك، أي: أنه قتله في سبيل الله، قال الله عَزَّوَجَلَّ: فإنها لي فهٰذا قد قتل بحق، وقتل لتكون العزة لدين، ولا يمكن أن يكون قاتلًا بحق إلا إذا كان يقتل على علم، ووفق الشرع، لا وفق الهوى والعاطفة أو الظنون الجامحة لأهلها يظنون أنهم على علم وهم ليسوا على علم، ويأتي المقتول يقول لرب العالمين: يا رب إن هٰذا قتلني فيقول الله: لم قتلته؟ فيقول: لتكون العزة لفلان، وفي اللفظ الآخر: ليكون الملك لفلان، فيقول الله عَزَّوَجَلَّ: إنها ليست لفلان هٰذا الذي قتلته فيه فيبوء بإثمه؛ ولهٰذا قال جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فاتقها»، اتق أن تقتل أحدًا على مثل هٰذا النحو الذي يقتتل فيه الناس اليوم.

ولهٰذا جاء -والعياذ بالله- في حديث المتقاتلين في الفتنة حديث مخيف جدًّا وهو أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر عن الفئات التي تتقاتل في الفتنة تلتقي هٰذه الفئة بهٰذه الفئة، فيتقاتلون يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث تشيب منه الرؤوس: «**قتلاها كلها في النار**» الجميع، الطرف الأول والطرف الثاني كلهم في جهنم، لمَ؟ لأن قتل النفس ليس بالأمر الهين، ويجب أن يحسب الإنسان له حسابات عديدة حتى يعلم أن قتاله على بصيرة؛ فلما كان هؤلاء على غير بصيرة وأولئك على غير بصيرة لم يدخل طرف منهم النار بل دخل الطرفان جميعًا النار، قتلاها كلها في جهنم، فيجب أن يتقى الله عَزَّوَجَلَّ وأن يعلم أن أمر الدماء ليس بالأمر الهين، وأن إراقة دم مسلم بغير حق أنها من الجرائم الكبار، وأن الذي أراق هٰذا الدم بغير حق أنه ضمن ثلاثة هم أبغض الناس إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

قال المؤلف: «يقول شيخ الإسلام».

وهو: ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال المؤلف: «قدس الله روحه».

أي: طهر الله روحك؛ فالكلمة لا إشكال فيها بعض الناس قد يتعجب يقول لماذا قدس الله روحه؟ فالتقديس هو التطهير نسأل الله أن يقدس أرواحنا ويطهرها؛ فالمقصود بالتقديس التطهير.

قال المؤلف: «سنة الجاهلية يندرج فيها كل جاهلية مطلقة أو مقيدة».

الجاهلية على نوعين:

- **النوع الأول:** الجاهلية العامة التي خيمت على الأرض فهٰذه قد أزاحها الله ببعثة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولله الحمد والمنة، ومن هنا كان جرم من أراد أن يحيي الجاهلية كان جرمه كبيرًا؛ لأنه يعيد الناس إلى الظلمة التي أزاحها الله عَزَّوَجَلَّ بنور الإسلام.

- **النوع الثاني:** جاهلية مقيدة، تكون في شخص دون شخص، فيكون في شخص نوع من أنواع الجاهلية فمثلًا التبرج الذي في النساء سماه الله تعالى تبرج الجاهلية فقال: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، فمن تبرجت فإنها تعود إلى خصلة من خصال الجاهلية، وهكذا الحكم بغير ما أنزل الله سماه الله تعالى حكم الجاهلية فقال: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، وهكذا أحوال الجاهلية وأوضاع الجاهلية؛ كالحمية حمية الجاهلية التي يكون فيها حمية ومناصرة لمجرد القرابة، وإن كانت القرابة مخطأة أو لمجرد من كونه من بلده وإن كان الذي من بلده مخطأ هٰذه حمية جاهلية ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [الفتح: ٢٦] فالواجب على المسلم أن يتخلص من خصال الجاهلية.

ومن ذلك أن يحتقر الناس ويزدريهم في ألوانهم، أو في قبائلهم، أو في بلدانهم وينظر إليهم نظرة دونًا، ولما قال أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على مقامه الكبير في الإسلام قال لبلال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد أن اختصم معه قال له: يا ابن السوداء، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أعيرته بأمه إنك، امرؤ فيك جاهلية**» في بعض الروايات قال: يا رسول الله أعلى هٰذا السن مني؛ لأن أبا ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ متقدم في سنه ليس صغيرًا ثم إنه متقدم في إسلامه جدًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**نعم، إخوانكم خولكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يطعم ويلبسه مما يلبس**» ماذا فعل أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد ذلك؟ كان يطعم غلامه الذي هو عبده، يطعمه كما يطعم صبيه تمامًا، مع أنه لا يلزمه أن يطعمه لكنه يطعمه من نفس ما يطعم ويلبسه من نفس اللباس الذي يلبسه بعد هٰذا الحديث.

- **فالواجب أن يُتخلص من خصال الجاهلية،** وكل أحد يثير النعرات في القبائل، في البلدان، في الألسن، في الألوان لا شك أنه متسبب في نوع من أنواع الجاهلية، العباد عباد الله، والأرض أرض الله

عَزَّوَجَلَّ، وليس للألوان ولا للبلدان ولا للألسن ولا للقبائل ما يعني تقديم أحد على أحد وإن كان أتقى، إنما المعيار الذي جعله الله تعالى هو معيار التقوى، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾ [الحجرات: ١٣]، فالمقصود من القبائل أمر قدري جعله الله تعالى لتتعارف الناس فيقال هٰذا فلان بن فلان، وأيضًا لتوصل الأرحام، ثم قال: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ قوله: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ بعد ذكر القبائل والشعوب فيه بيان أن العبرة ليست بكونك كذا أو من بلد كذا أو أنك عربي أو أنك لونك كذا أو أن لسانك كذا العبرة بتقواك؛ فلهٰذا من أحيا هٰذه الأمور فإنه يحيي جاهلية؛ ولهٰذا يقول شيخ الإسلام في أمر الجاهلية: إنها تكون مطلقة وتكون مقيدة، أي: في شخص دون شخص، فسواء كانت الجاهلية كتابية، أي: من جاهلية اليهود والنصارى، أو وثنية، مما كان عليه مثلًا العرب في الجاهلية أو مما كان عليه الجاهليون الآن من البوذيين والوثنيين بأضرابهم ونحوهم فكلهم في جاهلية من كل مخالفة لما جاءت به المرسلون صلى الله عليهم وسلم.

❍ **وبهٰذا يعلم أن الوضع الماثل في أوربا الآن أنه شرعًا يسمى وضع جاهلية**، وإن وصلوا في علوم الدنيا ما وصلوا؛ فإنهم جاهليون بنص ما قرره أهل العلم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ؛ لأن الجاهلي هو الذي لا يعرف ربه وإن بلغت الدنيا ما بلغت، قال تعالى: ﴿يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ٧﴾ [الروم: ٧].

ما الفائدة من أن يعلم الإنسان التعامل مع هٰذه الآلات على هٰذا النحو، وعلى هٰذه الدقة وأن يبلغ في الصناعة ما يبلغ وهو لا يدري من الذي خلقه ولا لماذا خلقه، ولا بعد أن يموت على أي شيء يكون حاله، وإلى أين يبعث، إنما هم حيارى ضائعون تائهون فلا يمكن أن يكون وضعهم إلا وضع الجاهلية، وإن بلغوا في أمور الدنيا ما بلغوا، المعارف الدنيوية ليست هي المعيار، المعيار الحقيقي في العلم بالله عَزَّوَجَلَّ، ولهٰذا أوربا لم تعرف الإسلام على حقيقته إلا فيمن دعا إلى الله تعالى على بصيرة واتبع وما أقلهم، ولم تعرف النصرانية أيضًا.

❍ **فالنصرانية التي وصلتها لا شك أنها ليست النصرانية التي أنزلها الله تعالى على عيسى** عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وإنما وصلتها النصرانية وهي منتشرة الآن فيها منذ قرون على يد عدو الله قسطنطين الذي خلط بين النصرانية وبين الوثنية، فهم في وضع من الجاهلية منذ قرون عديدة، ولهٰذا تقاذفتهم هٰذه المذاهب بأنواعها

من شيوعية ووجودية وأحوال في كل مرة ترتفع ويظهر لها دعاة وأنصار، وكل يدعي أن عنده الفلسفة المناسبة لهم ثم تهوي ويهوي معها أعداد غفيرة جدًّا ما بين منتحر، وما بين من أصيبوا بهٰذه النوبات النفسية الهائلة لهٰذا وضعهم الحقيقة أنه وضع عذاب؛ لأن الإنسان يمكن أن يعيش فقيرًا ويمكن أن يعيش مريضًا وهو قرير العين؛ لكن يعيش وهو لا يعرف ربه فهو كما تلاحظ مهما بلغ في الرفاهية وفي النعيم وفي أنواع التفحص للجسد والضبط من الجانب الجسدي من الناحية الطبية، ومن أنواع المآكل أن تكون على ما يناسب الصحة ونحو ذلك، وما هو فيه من الرفاهية العجيبة الغريبة التي لا يحيط بها أكثر الناس من جهة الاطلاع على تفاصيلها، إلا أنهم بكل سهولة تجد الواحد منهم ينتحر ويدع كل هٰذا، وتجد في العالم من المسلمين فقراء جياعًا مرضى قد قرت أعينهم، وهم في حال من الفرح بنعمة الله عَزَّوَجَلَّ عليهم بالإسلام ما يتمنى ذلك الذي بلغت أمواله ما بلغت يتمنى أن يعيش عشر معشار ما يعيشونه من الراحة النفسية، بسبب أن الإنسان يمكن يعيش مع حال من النقص في دنياه لكن لا يمكن أن يعيش جاهلًا بربه، وإذا عاش يظل يتخبط فإن أراد الله له عافية وما ذكرناه في أول الكتاب من الله عليه بدعاة يدعونه على بصيرة وإن لم يصله الدين الحق فإنه يستمر في تخبطه وفي عذابه.

❍ **والحاصل أن الجاهلية على هٰذا النحو**، لكن أن تكون الجاهلية مخيمة مطبقة هٰذا انتهى ولله الحمد، فليس لأحد أن يصف الأوضاع بأنها جاهلية مطبقة، هٰذا غلط لأن الجاهلية المطبقة انتهت ببعثته صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وأخبر صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن الله تعالى بمنته وفضله جعل طائفة «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين**»، لا يضمحل الحق بحيث لا يعرف حق من باطل، سنة من بدعة، لله الحمد لا بُدَّ أن يوجد -وهٰذه من نعمة الله- في هٰذه الأمة من يبين الحق من يظهر الحق يقل أتباعه أو يكثرون هٰذا وضع آخر؛ لكن أن يضمحل الحق؛ لا يضمحل بتاتًا بحيث ينتهي عند آخر الزمان حين يقبض الله روح كل مسلم ومؤمن قرب قيام الساعة ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر، فيعودون لدين أهل الجاهلية فعليهم تقوم الساعة، أما أن تكون الأرض مدلهمة مظلمة لا يعرف حق من باطل أبدًا فلا يجوز أن يعتقد هٰذا وهو على خلاف النصوص؛ لأن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أخبر أنه: «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك**» وهٰذا من فضل الله ومنته ومن نعمة الله عَزَّوَجَلَّ بالإسلام، هٰذا من فضائل الإسلام أن الله تعالى يبقيه ومهما حصل من التغير والتكدر وعياذًا بالله والانغفال عنه من قبل كثيرين فإن الله يبقي وله الحمد والمنة من يستمر ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ

فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ [الأنعام] يوجد ولله الحمد من يثبت ويرسخ ويعينه الله تعالى ويسدده ويجعله كما قال تعالى: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ [الفرقان] يكون إماما في الخير.

قال المؤلف: «وفي الصحيح عن حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: يَا مَعْشَرَ الْقُرَّاءِ».

الْقُرَّاءِ: تطلق عادة على المتطلبين للعلم الذين يبحثون عنه ويتدارسونه ويقرؤونه فتطلق عليهم هٰذه الكلمة: القراء، «**استقيموا**» كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**قل آمنت بالله ثم استقم**» استقم على الطريق الذي ذكره الله في الآية ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا﴾ ما دام الصراط مستقيمًا أمامك فاسقم عليه؛ لهٰذا دائمًا نوصى بالاستقامة.

قال المؤلف: «يا معشر القراء استقيموا، فإن استقمتم فقد سبقتم سبقًا بعيدًا».

المستقيم هٰذا يحصل شيئًا عظيمًا وينجح نجاحًا بالغًا ويوفق التوفيق الذي لا يمكن أن يكون أحد وفق إليه إلا من كان على مثل ما هو عليه، يسبق إلى الخير وإلى الدرجات العلى عند الله عَزَّوَجَلَّ وإلى الوصول إلى الحق وإلى ضرب اليقين، فإن أخذتم يمينًا وشمالًا فقد ضللتم ضلالًا بعيدًا، إن أخذتم عن هٰذا الصراط الذي قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾ التي تكون عن يمين الصراط وعن شماله، فإن أخذتم يمينًا وشمالًا معنى ذلك أنكم تركتم الصراط وتركتم الاستقامة فقد ضللتم ضلالًا بعيدًا.

قال المؤلف: «عن محمد بن وضاح أنه كان يدخل المسجد».

الذي يظهر أن مراده أن محمد بن وضاح روى هٰذا الخبر عن حذيفة نفسه، الكلام هنا من كلام حذيفة وليس من كلام محمد بن وضاح؛ لكن محمد بن وضاح في كتابه عن البدع روى أن حذيفة كان يدخل المسجد فيقف على الحِلق فيقول هٰذا الكلام أي: يقف على الحلق التي فيها طلبة العلم وينبههم، ويحثهم على الاستقامة ولزوم السنة وترك الطرق المبعدة لهم عن السنة.

قال المؤلف: «ابن مسعود رضي الله عنه قال: ليس عام إلا والذي بعده أشر منه».

هٰذا في الجملة؛ لأن الأمور تزداد بعدًا عن عهد النبوة فتكثر البدع والمحدثات والضلالات، والنبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد ثبت عنه أنه قال: «**أنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون**» فكلما ابتعد الناس عن زمن النبوة وعن زمن الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم لا شك ولا ريب أن الأمور تشتد فيها الغربة كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ**» فغربة الإسلام كما بدأ، الإسلام أولًا غريبًا فإنها تعود أيضًا هٰذه الغربة مرة أخرى فعلى المؤمن أن يثبت وأن يعلم أن الأحوال تتغير، وبه يعلم المسلم أن العبرة ليست بالكثرة، فإن كثيرًا من الناس يضل ويزل وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ [الأنعام: ١١٦]، فلا تنظر إلى الكثرة عليك بتعلم العلم، ولزوم هدي النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أما كون الأحوال تتغير فاحرص أنت على الثبات وإلا فكما قال: ليس عام والذي بعده شر منه، وقد ثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -كما في البخاري- من حديث أنس رضي الله عنه أنه قال: «**لا يأتي زمان إلا والذي بعده أشر منه**» فهٰذا بالجملة أن الأحوال تكون إلى شدة وإلى كرب، وهٰذا يقتضي من العبد الحرص على الثبات، والحرص على تعلم العلم حتى إذا دهمت الفتن والشرور والخطوب سار على بصيرة فتصرف على بصيرة.

فالعلم بعد فضل الله عَزَّوَجَلَّ مثل المصباح الذي يضيء في الظلمة؛ فإذا جاءت الفتن وادلهمت وكان الإنسان قد تعلم وأصلح له النية؛ فإنه بإذن الله تعالى لا يزيغ في الفتن ولا يضل فيه لأنه قد تعلم، فهٰذا كله يحرض على العلم.

قال المؤلف: «ليس عام إلا والذي بعده شر منه».

لا شك أن الأمر كما قال، لكن قد يأتي كما قال الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ لما قيل له: إن الحجاج بن يوسف قد جاء بعده عمر بن عبد العزيز، الحجاج بن يوسف كان أميرًا مسلطًا وكان زمن عبد الملك بن مروان، بعد مدة ولي سليمان بن عبد الملك ثم جعل الولاية في عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ، ورد المظالم رَحِمَهُ اللَّهُ وأحيا السنة، فزمن عمر بعد زمن الحجاج، فلما قيل للحسن: إن عمر بن عبد العزيز كان بعد الحجاج، قال الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ: لا بُدَّ للناس من تنفيس، يأتي الله بفرج بين فترة وأخرى لكن في الجملة يقع هٰذا، أن الأحوال تدلهم إلى أن تكون شرًا مما قبلها، وهٰذا ظاهر، فما أدركه الناس مثلًا منذ أربعين أو خمسين سنة مما كان عليه الناس من قلة الإقبال على ما عند أعداء الله من الأوضاع وتقليد المشركين والمشركات،

وكون كثير من النساء على حال من الحجاب والستر، وكون كثير من المسلمين على بعد من التشبه بالكفار إذا قارنته بما بعده من سنين ثم من سنين، ثم من سنين ثم إلى وضعنا الآن تجد أن وضعنا أسوأ من الوضع السابق، ولا يعني ذلك أن الإنسان يقول هٰذا الوضع إذًا لا حاجة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا والله فلا بُدَّ أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وأن يبث العلم وأن يدعى إلى الله عَزَّوَجَلَّ، ويأتي الله عَزَّوَجَلَّ بالتنفيس بين فترة وأخرى، ثم إن هٰذا الأمر يتفاوت بين زمن وزمن وبين مكان ومكان، فتجد السنة في مثل هٰذا البلد أكثر وأقوى وأرسخ مما في بلدان كثيرة، ثم في أزمنة سابقة تكون السنة أرسخ منها في مثل هٰذه البلدان فبحسب ما يعين الله عَزَّوَجَلَّ ويوفق الناس في موضع من المواضع إلى الحرص على طاعة الله تعالى، ولزوم السنة، بقدر ما يزول عنهم الشر، وبقدر ما تزول عنهم البدع والإحداثات، وبقدر ما يقل فيهم العلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقدر ما يكثر فيهم زمانًا ومكانًا.

ثم بيَّن مراده بالشر فقال: لا أقول عام أخصب من عام؛ لأنه قد يظن الإنسان أن الشر المقصود هنا هو شر مراد به شر الدنيا بأن يصيب الناس حال من الفقر، أو حال من القحط.

۞ قال المؤلف: «قال: لا أقول عام أخصب من عام، ولا أمير خير من أمير».

لكن الشر العظيم أن يكون ذهاب علمائكم وخياركم، بأن يموت العلماء والعلماء لا بُدَّ أن يموتوا لكن الخطر ما هو؟ الخطر أن يموت العلماء ولا يوجد عنهم خلف، أما إذا كان العلماء يموتون ولهم تلامذة أخذوا عن العلماء فإن الناس يكونون بخير، إنما الإشكال أن يعرض الناس ويزهدوا في العلم، ثم يبقى العالم إلى أن يقبضه الله تعالى فلا يؤخذ عنه العلم فينتشر في الناس الجهل ويأتي كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم، اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا فسئلوا بغير علم فضلوا وأضلوا**».

ولهٰذا قال السلف: «إنه لا يزال الناس بخير ما دام الآخر يأخذ عن الأول»، الآخر من التلاميذ، يأخذ عن الأول من أهل العلم الذين سبقوا؛ فإذا مات هٰذا العالم وإذا بالتلامذة قد أخذوا عنه علمه فيبثون العلم كما بثه هو فلا يزال الناس بخير، فإذا بقي الأول ولم يأخذ منه الآخر هنا يهلك الناس، ولهٰذا قال: «الشر العظيم يكون بذهاب علمائكم وخياركم، ثم يحدث أقوام يقيسون الأمور بآرائهم»، هؤلاء الذين يقيسون الأمور بآرائهم ما معنى كلامه؟ أنهم لم يأخذوا العلم، ولم ينحوا المنحى الذي عليه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وسلف الأمة؛ بل رجعوا إلى أهوائهم فصاروا يقيسون الأمور بالرأي المجرد هنا ينهدم الإسلام ويثلم نعوذ بالله.

قال المؤلف: «باب تفسير الإسلام، وقول الله تعالى: ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ﴾ [آل عمران: ٢٠]، وفي الصحيح عن عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «الإِسْلامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ وَتُقِيمَ الصَّلاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً».

وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»

وعن بَهزِ بن حَكيم عن أبيه عن جده أنه سأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن الإسلامِ فقال: «أن تسلم قلبك لله، وأن تولي وجهك إلى الله، وأن تصلي الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة» رواه أحمد.

وعن أبي قلابة عن رجل من أهل الشام عن أبيه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الإسلام؟ قال: «أن تسلم قلبك لله، و يَسلم المسلمون من لسانك و يدك» قال: أي الإسلام أفضل؟ قال: «الإيمان». قال وما الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت».

في هٰذا الباب تفسير الإسلام، بعد أن ذكر وجوب الإسلام وذكر فضل الإسلام، لا بُدَّ أن نعرف الإسلام حقيقة من خلال النصوص، وقد تقدم في «**الأصول الثلاثة**» بأنه عرف الإسلام بأنه الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك.

فالإسلام أصله الاستسلام، وليس الإسلام استسلامًا ظاهرًا مقطوعًا عن القلب -معاذ الله-، هٰذا استسلام المنافقين، ليس المقصود أن يظهر هٰذه الأشياء من إقام الصلاة وقبلها أن يتشهد الشهادتين، ويصوم مع الناس ويحج ويعتمر ويظهر الزكاة ويظهر مثلًا الجهاد، وذلك مقطوع عن قلبه، هٰذا ليس الإسلام الذي ينجي، الإسلام لا بُدَّ أن يتواطأ فيه القلب مع الإسلام، والإسلام يكون بالاستسلام لله تعالى بأن يظهر هٰذه الأمور بأن يسلم بالله أولًا بالتوحيد، وهو أعظم وأجلُّ شيء، وأن ينقاد لله عزوجل ظاهرًا بطاعته تعالى وأن لا يكتفي بهٰذا حتى يبرأ من الشرك ويبرأ من أهل الشرك.

❍ **فالإسلام إذا أطلق يدخل فيه الإيمان**، كما أن الإيمان إذا أطلق دخل فيه الإسلام، فإذا اجتمعا في نص واحد كان الإسلام يراد به الأعمال الظاهرة، وكان يراد بالإيمان الأمور الباطنة كما في الحديث: «**أن تؤمن بالله وملائكته... الحديث**» لكن ليس هناك إسلام ظاهر ينفع صاحبه إلا إذ كان معه إيمان، فلا بُدَّ لكل مسلم من إيمان يصح به إسلامه، أما لو أظهر هٰذه الأمور بدون إيمان فإنه يكون منافقًا لا ينفعه.

ولا بد للمؤمن من إسلام به يحقق إيمانه؛ فليس الإسلام هكذا لفظًا يطلقه الإنسان دون أن يلتزمه، وليس الإسلام استسلامًا ظاهرًا منقطعًا عن القلب، بل الإسلام يكون في الجوارح بالانقياد لله عَزَّوَجَلَّ مربوطًا بيقين القلب وإلا فإنه لا ينفع صاحبه، ولهٰذا قال تعالى: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ٢٠] المؤمن يسلم وجهه لمن؟ لله عَزَّوَجَلَّ مخلصًا لله تعالى إسلامه، وهكذا ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ﴾ قوله: ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ﴾ أي من اتبع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنه يسلم وجهه لله تعالى.

ثم ذكر حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا المشهور: «**الإسلام أن تشهد أن لا إلٰه إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت الحرام إن استطعت إليه سبيلا**».

فسَّر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإسلام هنا بالأعمال الظاهرة؛ لأنه سئل معه عن الإيمان، ففسره كما في نفس الحديث حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فسره بالأعمال القلبية الباطنة وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، والإيمان لا يمكن أن ينفع العبد إلا إذا كان قولًا باللسان واعتقادًا بالقلب وعملًا بالجوارح، لا بُدَّ منه، فلو أنه اقتصر على قول اللسان واعتقاد القلب لما نفعه -كما قال الشافعي لما ذكر إجماع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أن الإيمان هو قول اللسان واعتقاد القلب وعمل الجوارح-، قال: لا يجزي واحد منها عن الآخر.

فليس لك أن تقتصر على نطق اللسان واعتقاد القلب وتقول لن أعمل لا يكون عند إيمان في هٰذه الحال؛ لأن أهل السنة متفقون بإجماع لا ينخرم إلى قيام الساعة أن الإيمان قول وعمل، لا بُدَّ فيه من العمل، وبه نعلم أن الإسلام إذا أطلق فإنه لا بُدَّ فيه من الإيمان، أما أن يعمل الأعمال التي يظهر به استسلامه وليس عنده إيمان فإنها لا تنفعه قطعًا، وهكذا الإيمان، الإيمان إذا ذكر مع الإسلام فسر بالأعمال الباطنة هٰذه، الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، لكن لا شك أنه لو اقتصر عليها ولم يعمل فإنها لا تنفعه، فلا بد للمسلم من إيمان يصح به إسلامه، ولا بد للمؤمن من إسلام يحقق به إسلامه.

قال المؤلف: «عن أبي هريرة رضي الله عنه: الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ».

المسلم الحقيقي الكامل الذي يسلم الناس من شره، والشر يأتي من هاتين الزاويتين إما أن يكون بذيئًا في لسانه، شرًا على الناس بألفاظه، وإما أن يكون ذا يد يعتدي بها على الناس، فإذا سلم منك إخوانك المسلمون من أذاك بلسانك ومن تعديك بيدك فإن هٰذا هو الإسلام الحق قطعًا مربوطًا ببقية ما أوجب الله، وليس المقصود أن يسلم منك المسلمون بلسانك ويدك وتدع الصلاة والزكاة والصوم؛ لأن في الحديث الذي قبله «**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة**» فتجمع النصوص مع بعضها حتى يعرف معاني الألفاظ الشرعية هٰذه.

ثم ذكر حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده، وهٰذا سند مشهور عند أهل العلم يحسنه كثير منهم حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده كثير من أهل العلم يقول أنه من قبيل الحسن، وهكذا حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده يقولون أيضًا: إنه من قبيل الحسن، وعلى خلاف بينهم في هذين الإسنادين، أنه سأل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الإسلام؟ فقال: «**أن تسلم قلبك لله، وأن تولي وجهك إلى الله**» لاحظ أنه أدخل في تعريف الإسلام أمر القلب، لا بُدَّ أن يسلم القلب لله عَزَّوَجَلَّ، وإلا إذا أظهر الأعمال الظاهرة دون أن تكون مربوطة بقلبه فإنها لا تنفعه «**وأن تولي وجهك إلى الله**» فيوجه وجهه إلى الله وحده لا شريك «**وأن تصلي الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة**» بأن تلتزم هٰذه الأركان التي ذكرها الله.

ثم ذكر من طريق أبي قلابة عن رجل من أهل الشام فهٰذا مبهم فيكون سند فيكون في هٰذا مبهم عن أبيه أنه سأل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ظاهر السند أن هٰذا الأب صحابي؛ لهٰذا قال سأل رسول الله فهو أدرك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويبقى الكلام عن هٰذا الرجل من أهل الشام من هو؟ ما الإسلام؟ قال: «**أن تسلم قلبك لله**» كالحديث السابق تمامًا، فهٰذا يشهد هٰذا الحديث يشهد له حديث بهز بن حكيم ويقويه: أن تسلم قلبك لله، «وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك»، هٰذا الإسلام، قال: «أي الإسلام أفضل؟» لأن الإسلام دائرة واسعة تشمل جميع المسلمين، وهناك دائرة بعدها أخص وهي دائرة المؤمنين، ودائرة بعدها أخص وأخص وأعظم وهي دائرة المحسنين، قال: «أي الإسلام أفضل؟» قال: «**الإيمان بالله**»، لأن المؤمن إطلاق أعظم من إطلاق المسلم؛ لأن المسلم يدخل في عمومه حتى العصاة والظالمون لأنفسهم، أما المؤمن فإنه على قول بعض أهل العلم: إن الآية التي ذكرت أصناف المسلمين في قوله

تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ﴾ [فاطر: ٣٢] قالوا: الظالم لنفسه ما يكون من أهل الإسلام عنده معاصي، والمقتصد قالوا هو المؤمن الذي عنده إقدام على وقوة في أخذ نفسه بلزوم الواجبات وعدم التفريط فيها، وكف نفسه عن المحرمات، قالوا: فهٰذا هو المقتصد، قالوا: أما السابق بالخيرات فهو الذي مع كونه ملتزمًا للواجبات، مجانبًا للمحرمات إلا أنه مقدم على المسنونات والمستحبات، فأخذ نفسه أخذًا أعظم من الذي قبله، قالوا: فهٰذا هو المحسن؛ ولهٰذا قال: أي الإسلام أفضل؟ قال: «**الإيمان بالله**» قال: وما الإيمان؟ قال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والبعث بعد الموت**»، ودل عليه الحديث -حديث جبريل أيضًا الذي ذكره في أول الباب- الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله... إلى آخره، ثم قال بعده: فاخبرني عن الإيمان؟ فقال: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، فهٰذا الباب فيه تفسير للإسلام الذي أمر الله به عباده.

قال المؤلف: «باب قول الله تعالى ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران:٨٥]

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «تَجِيءُ الأَعْمَالُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَتَجِيءُ الصَّلاةُ فَتَقُولُ: يَا رَبِّ أَنَا الصَّلاةُ، فَيَقُولُ إِنَّكِ عَلَى خَيْرٍ، فَتَجِيءُ الصَّدَقَةُ فَتَقُولُ: يَا رَبِّ أَنَا الصَّدَقَةُ، فَيَقُولُ: إِنَّكِ عَلَى خَيْرٍ، ثُمَّ يَجِيءُ الصِّيَامُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَنَا الصِّيَامُ، فَيَقُولُ إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ، ثُمَّ تَجِيءُ الأَعْمَالُ عَلَى ذَلِكَ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ، ثُمَّ يَجِيءُ الإِسْلامُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَنْتَ السَّلامُ، وَأَنَا الإِسْلامُ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ، بِكَ الْيَوْمَ آخُذُ وَبِكَ أُعْطِي، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ: «وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنْ الْخَاسِرِينَ» رواه أحمد.

وفي الصحيح عَن عَائِشَةُ – ﵂ – أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» رواه أحمد».

كأن هٰذا الباب والله أعلم أراد به التلخيص، وإلا هٰذه الآية التي ترجم عليها ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ مرت في باب وجوب الإسلام، وهكذا حديث: «**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد**» مر في نفس الباب؛ فكأنه أراد أن يلخص وأن يبوب على الآية تبويبًا خاصًا مستقلًا، أنه لا يمكن أن يقبل

من أحد دين غير الدين الذي بعث به محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فبوب على الآية، وذكر هٰذا الحديث؛ لأن هٰذا الحديث بعد أن جاء فيه ذكر هٰذه الأعمال ختم بالآية نفسها فقال: قال الله تعالى في كتابه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ فكأن هٰذا الباب تلخيص، ونوع من التخصيص بعد العموم، وأنه لا نجاة بتاتًا لأحد إلا إذا لقي الله تعالى بالإسلام، ثم ذكر أن الصلاة تأتي في القيامة على هٰذا الحد فتقول أنا الصلاة فيقول: إنك على خير، تجيء الصدقة، وهكذا الأعمال الأخرى حتى يجيء الإسلام فيقول: يا رب أنت السلام وأنا الإسلام، فيقول: إنك على خير، بك اليوم آخذ وبك أعطي، أي: أن الله تعالى من لقيه بالإسلام الذي بعث به محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنه إذا لقي الله تعالى على الحال السوي السليم من طاعة الله تعالى فإن الله عَزَّوَجَلَّ يجعله بالمقام العالي والنجاة والسلامة من العطب، وبضده من لقي الله عَزَّوَجَلَّ بغير الإسلام فإنه يعاقب ويكون مصيره كما في الآية: ﴿وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران] ولهٰذا المعيار في الآخرة هو الإسلام، به يأخذ وبه يعطي.

ثم ذكر الحديث الذي سبق شرحه: «**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد**» وهو مما تقدم.

❁ قال المؤلف: «باب وجوب الاستغناء بمتابعته الكتاب عن كل ما سواه، وقول الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل:٨٩] الآية.

روى النسائي وغيره عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه رأى في يد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورقة من التوراة فقال: «أمتهوكون يا ابن الخطاب، لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لو كان موسى حيًّا واتبعتموه وتركتموني ضللتم» وفي رواية: «لو كان موسى حيًا ما وسعه إلا اتباعي» فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسولًا».

مقصد الباب أن الله تعالى أغنانا بالقرآن العظيم عن أن نلتمس الهدى في غيره، فلسنا بحاجة في أن نلتمس ما عند أهل الكتاب، ونقول: ماذا عندكم من الهدي أعطوناه لعلنا أن نكون أكثر هدى، معاذ الله، في كتاب الله وفي سنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الغنية الكاملة عن كل ما سواهما.

ولهٰذا ذكر الباب هنا في إيجاب الاستغناء بمتابعة هٰذا الكتاب العظيم عن كل ما سواه، فليس لأحد أن ينشر التوراة والإنجيل في بلاد المسلمين ويقول سنأخذ منها الهدي المناسب، في القرآن وفي السنة ما يكفي

ولله الحمد والمنة.

قال المؤلف: «باب وجوب الاستغناء بمتابعة الكتاب، ومما أوجب الله في الكتاب».

أن يتبع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فليس مقصده قطعًا الاستغناء بالقرآن فقط وإنما يستغنى بالقرآن عن ما سواه قد يكون عند اليهود والنصارى فليس لأحد أن ينشره في الأمة، ويقول: سنجد من الهداية ومن الخير وصلاح القلوب ما إذا نشرنا به التوراة والإنجيل انتفع الناس، معاذ الله من اعتقد هٰذا فاعتقاده فاسد.

بل في القرآن ولله الحمد الكفاية وما سماه الله تعالى به من الأسماء التي نوهنا عنها من كون الله تعالى سماه بالنور والشفاء والهداية والفصل والقيم والبرهان والمبارك، ما يدل على أن فيه الغنية الكافية عن كل ما سواه، فيستغنى بوحي الله عن كل ما سواه، وليس لأحد أن ينشر التوراة والإنجيل لا يحل هٰذا، وإذا وجدت يجب أن تصادر، ولا يحل لأحد أن يطلع عليها وإنما يطلع عليها أهل العلم الذين رسخت أقدامهم ليحاوروا بها أهل الكتاب ويقيموا بها الحجة عليهم مما في كتبهم، أما أن تنشر في المسلمين فلا يحل ولا يصلح أن تكن متاحة لكل أحد.

ويدل على أن هٰذا مراده ما ذكره من الحديث أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان وجد ورقة من التوراة فأتى بها وصار يقرأها عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتلون وجه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم قال: « **أمتهوكون يا ابن الخطاب** » **أي**: متشككون أو متحيرون، «**لقد جئتكم بها بيضاء نقية**» **أي**: أنتم في غنية عما عند أهل الكتاب مما أنزل الله تعالى على نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم قال: «**لو كان موسى حيا واتبعتموه وتركتموني ضللتم**» على فرض أن موسى كان حيًا، لو كان موسى حيًا لا شك أنه كان سيأتي ليتابع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للعهد الذي ذكرناه في الآية ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ الآية، لكن لو فرضنا فرضًا أن موسى كان حيًّا واتبعه أحد بعد بعثة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لضل من اتبع موسى، مع أن موسى لو وجد لا بُدَّ أن يأتي ليتابع محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولهٰذا إذا نزل المسيح عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فإنه يحكم بشريعة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكن لو فرضنا أن موسى وجد وقد توفي إلى الله عَزَّوَجَلَّ لكن لو فرضنا أنه وجد واتبعه أحد بعد بعثة محمد لضل.

ثم قال: في رواية أخرى: «**لو كان موسى حيًا ما وسعه إلا اتباعي**» لو وجد موسى وكان حيًا لما حل لموسى إلا أن يأتي ويتبع محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبيا ورسولًا».

قال المؤلف:« باب ما جاء في الخروج عن دعوى الإسلام، وقول الله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا﴾ [الحج:٧٨].

عن الْحَارِثَ الأَشْعَرِيَّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ اللهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ: السَّمْعُ، وَالطَّاعَةُ، وَالْجِهَادُ، وَالْهِجْرَةُ، وَالْجَمَاعَةُ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلا أَنْ يُراجِع وَمَنْ ادَّعَى دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مِنْ جُثَا جَهَنَّم». فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ ؟ قَالَ : «وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ فَادْعُوا بِدَعْوَى اللهِ الَّذِي سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ والْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللهِ». رواه أحمد والترمذي، وقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وفي الصحيح: «مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْراً فَمَاتَ فَمِيتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ». وفيه: «أَبِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟». قال أبو العباس: «كل ما خرج عن دعوى الإسلام والقرآن من نسب أو بلد أو جنس أو مذهب أو طريقة فهو من عزاء الجاهلية ، بل لما اختصم مهاجري وأنصاري فقال المهاجري: يا للمهاجرين، وقال الأنصاري: يا للأنصار ! قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَبِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟»، وغضب لذلك غضبًا شديداً. انتهى كلامه، رَحِمَهُ اللَّهُ».

هٰذا الباب في وجوب أن يلتزم المسلمون الأسماء الشرعية التي سماهم الله، وأن لا يحدثوا أسماء ما أنزل الله بها من سلطان يستمون بها، ويتوالون عليها ويعادون عليها فإن هٰذا شأنه شديد جدًّا وخطير، وهو تمزيق للجماعة التي أمر الله تعالى أن تكون واحدة.

الحاجة في الحقيقة لهٰذا الباب حاجة كبيرة ولا سيما في هٰذا الزمن مع شدة ما وقع في الأمة من هٰذا التفرق العظيم، الأمة ماذا سماها الله؟ سماها الله كما في الحديث «**فادعوا بدعوى الله الذي سماكم المسلمين المؤمنين عباد الله**» تأمل هٰذه الأسماء ما ميزتها؟ العموم، فهؤلاء المسلمون المؤمنون عباد الله، ليس فيها شيء من التحزب، التحزب من شأنه إذا وجد في الأمة أن تبث الفرقة معه، حتى لو قال أهله إنهم سيسعون إلى ألا يكون تحزبهم سببًا في فرقة الأمة، نقول: هٰذا أمر قدري لا يمكن أن تصرفه بحال من الأحوال، أبى الله إلا أن يجعل مع التحزب فرقة، يستحيل أن ترد أمر الله بها، إن وجد التحزب فستوجد معه الفرقة، إن أردت السلامة من الفرقة فاترك التحزب، إذا ترك هٰذا تحزبه وترك هٰذا تحزبه ماذا يحصل؟ يعودون للجماعة، أما إذا شققت الأمة فصار هٰذا له اسم، وهٰذا له اسم، هٰذا يدعوا أقوامًا ويلتفون حوله

تحت حزب معين، وهؤلاء يجتمعون تحت اسم جماعة معين وهكذا يجتمع مع هٰذا عدد، ومع هٰذا عدد، ومع هٰذا عدد، ثم يتنافسون، ثم يتباغضون، ثم يبدأ بعضهم يحرض على بعض ويحذر من بعض، وينشأ من آثار هٰذا ما خشيه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من الفرقة وترك الجماعة.

❍ **أمة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمة واحدة،** لما توفي صلوات الله وسلامه عليه ما كان هناك أحد يسمى باسم إلا الاسم العام الذي سماهم الله؛ أنهم المسلمون المؤمنون عباد الله، وما سواهم كفار، كما أن دارهم هي دار الإسلام وما سواهم دار كفر، فهم جميعًا مسلمون وإن اختلفت ألوانهم أو بلدانهم أو أنسابهم أو ألسنتهم فهم مسلمون، فإذا جاء أحد وبتَّر الأمة وقطعها وشق فيها شقًا بحزب ينشؤه أو بجماعة وإن كان صادقًا ومخلصًا لله يريد نصر الإسلام وإعزازه سيؤلفها ويجمع فيها الناس، ويضع لها ترتيبًا معينًا، فإنه ليس وحده الذي يفعله، سيفعل هٰذا غيره، وسيجمع أناسًا آخرين وسيكون هؤلاء منضوين تحت فلان، وأولئك منضوين تحت فلان فيحصل التنافس، ويحصل الفرقة ولا بُدَّ.

فلهٰذا الوضع السوي أن تكون هٰذه الأمة التي ربها واحد وكتابها واحد، ونبيها واحد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ أن تكون جماعتها واحدة، أما أن يكون ربنا واحد، وكتابنا واحد، ونبينا واحد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولكن سنؤلف جماعات وأحزابًا فهٰذا متناقض؛ لأن الجماعة ضد للتحزب.

❍ ولهٰذا **إحداث تحزب في الأمة أضر بأمة الإسلام ضررًا بالغا،** وصارت العاقبة أن اشتغل المتحزبون ببعضهم حتى صرفهم اشتغالهم ببعضهم عن الاشتغال بعدو الله عَزَّوَجَلَّ، وولج أهل الكفر وأهل النفاق إلى هٰذه الجماعات وهٰذه الأحزاب متسمين باسم المسلمين ومظهرين الحدب على الإسلام وأوجدوا حتى فيما بين هٰذه الجماعة والحزب الذي نشأ أوجدوا بين أفرادها إشكالات أدت إلى تشقق الحزب نفسه فصار أحزابًا، وانشقاق الجماعة التي تسمت باسم منه فصارت نفس الجماعة عدة جماعات، مع أن أصل إنشائهم وانطلاقهم كان يراد به في نظرهم أن يعزوا الإسلام وأن يكونوا يدا واحدة على أعدائه، لكن لما سلكوا المسلك الذي نهو عنه صارت العاقبة أن ابتلوا بهٰذه الفرقة، وبهٰذا الانشغال عن أعداء الله عَزَّوَجَلَّ حتى صار يخطط عليهم بسهولة، وصار يحدث بينهم الشغب والمشاكل بأدنى قضية تثار بينهم، ودخل في هٰذه الأحزاب وهٰذه الجماعات عدد غير قليل قد تكون نواياهم سليمة، لكن عظمت الداهية والبلية بانضمام عدد من هؤلاء ليسوا من أهل العلم الشرعي، وتجدهم الآن أناسًا

كبارًا تقدمت بهم السن وهم لم يجثوا بالركب عند أهل العلم، ولا يعرفون العلم، فيا للعجب كيف يقود هؤلاء الأمة، كيف يستطيعون أن يتعاملوا مع نوازلها الهائلة العظيمة التي تحتاج إلى علم شرعي.

❍ **فكانت العاقبة أن وجد ما ذكره الأوزاعي،** للشيطان محجتان لا يبالي بأيهما ركب العبد إفراط أو تفريط، وجد الإفراط والتفريط بسبب أن هٰذا ينشأ ويقيم حزبًا على حال من المبالغة والإفراط في أمر من الأمور، ويقابله غيره على حال من القصور والتفريط يقابل هٰذا هٰذا، ما العاقبة؟ العاقبة الوضع الماثل في الأمة الآن بعد أن تشققت، ولن يعود للأمة عزها إلا بما قال مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يصلح آخر هٰذه الأمة إلا ما صلح أولها، فالذي يتصور أن أحوال الأمة ستحل بأساليب حديثة على خلاف ما جاءت النصوص والله لو أعطي من العمر قرونًا لا يمكن أن ينفع الله به أمة الإسلام، لا يزيد أمة الإسلام إلا كبوات، ولهٰذا يجب أن يتقى الله ولهٰذا أجزل الله المصنف الأجر، وما أعظم فقهه وأدقه حين جعل في كتاب عن فضل الإسلام هٰذا الموضع الخروج عن دعوى الإسلام، نحن مسلمون يجمعنا الإسلام، فعلينا أن لا نتسمى باسم سوى الإسلام والأسماء الشرعية الواردة مثل السنة، الجماعة هٰذه أسماء شرعية.

ولهٰذا لما سئل مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من أهل السنة؟! قال: الذين ليس لهم اسم يعرفون به، ما لهم إلا السنة، قيل ما السنة؟ السنة نفسها ما هي قال: ما لا اسم له إلا السنة، تريد أن نعطيك معنى السنة، السنة هي السنة لا نستطيع أن نعرف لك السنة بشيء سوى أنها هي السنة، من أهل السنة؟ قال: الذين ليس لهم لقب ولا اسم يسمون به إلا السنة.

❍ **ولهٰذا ليس لأحد أن يشق في الأمة اسمًا ويجمع الناس عليه،** ويقول تعالوا نضع جماعة هي جماعة كذا، يقابله آخر يقول: سنضع حزبًا هو حزب كذا، تتشقق الأمة بهٰذا وفي هٰذه الحالة يحصل مخالفة الهدي الذي أوجب الله به أن تكون جماعة واحدة.

ولهٰذا لما سمع عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن قومًا في زمنه تداعوا إلى الحلف سيتحالفون على خير في نظرهم كتب كتابًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى الآفاق وهو خليفة قال فيه: «لمن بلغه كتابي هٰذا أنهاهم أن يتخذوا غير الإسلام حصنًا، وأن يتخذوا دون الله ورسوله والمؤمنين وليجة، أنهاهم نهيًا بعد نهي، وأحذرهم تحذيرًا بعد تحذير، وأشهد عليهم الذي هو آخذ بناصية كل دابة».

❍ **وكان مطرف بن عبد الله التابعي الجليل الكبير ابن الصحابي الجليل عبد الله بن الشخير** يأتي مجلس زيد بن صوحان، وكان صاحب زهد وعبادة وعنده جملة من أهل العبادة والخير، فكان مطرف أصغرهم فأتى يومًا وإذا بهم قد هيأوا كتابًا كتبوه يقولون فيه القرآن إمامنا ومحمد نبينا والإسلام ديننا، من كان معنا كنا معه إلى آخره، فصاروا يعرضونه على الموجودين وكانوا نحوًا من ثلاثين يقول يا فلان أتقر بالكتاب؟ فيقول: نعم، يا فلان أتقر بالكتاب؟ فيقول: نعم، فلما جاؤوا إلى مطرف قالوا: يا غلام أتقر بالكتاب؟ قال: لا، تعجبوا منه قال زيد: لا تعجلوا عنه غلام؛ لأن الكتاب ما الذي فيه؟ الله ربنا محمد نبينا القرآن إمامنا، الصبي يقول لا، ما أقول به، ما أقر، قال: يا غلام ما الذي يحملك على أن لا تقر؟ قال: إن الله أخذ علي في كتابه عهدًا فلا أقبل كتابًا سواه، أي: لا تحدثوا كتبًا أخرى، الله أخذ علينا عهدًا في كتابه والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيَّن الطريق أنت يا زيد الآن ستأتي بكتاب وسيأتي آخر بكتاب ثم نحن نجتمع نحن الثلاثون يجتمع آخر ثلاثون يجتمع ثلاثمائة تتشقق الأمة، يقول: فرجعوا عن آخرهم؛ لأنهم يريدون الحق وأنا أصغر القوم، أي: كان هو الغلام الصغير كان زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ كبيرًا وكان في عدد من كبار التابعين، لكن لما نبههم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكان أصغرهم رجعوا كلهم عن هٰذا الكتاب.

❁ لماذا نضع كتابًا؟! لماذا نضع حلفًا؟! لماذا نضع جماعة؟! لماذا نضع حزبًا؟!

نتعاون مع كل المسلمين سودهم وبيضهم، وعربهم وعجمهم، حاضرتهم وباديتهم وتكون جماعتنا واحدة، ويعين الذي في المشرق الذي في المغرب، ويتعاونون على البر، هكذا أمر الله أما أن تشقق الأمة إلا أحزاب وإلى جماعات ويظن أنها سترفع من وضع الأمة، انظر ما الذي حدث؛ اشتغلت الجماعات ببعضها، واشتغل المتحزبون ببعضهم وانشق من الجماعة نفسها المؤلفة جماعات، ومن الحزب نفسه أحزاب، فصارت الأمة على هٰذا الوضع، وكثرت التسميات غير الشرعية وكثرت الظنون وصار الإنسان ينظر إلى أخيه المسلم المتدين هٰذا من أي جماعة، تتوقع أنه من إيش هٰذا، هٰذا انظر اتجاهه، اتقوا الله، مسلمون، مؤمنون، عباد الله كما عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ادع المسلمون بأسمائهم بما سماهم الله المسلمين، المؤمنين.

عباد الله!! هٰذه هي الأسماء التي يجب أن يلتف عليها المسلمون وهكذا اسم السنة؛ لأنها سنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ولهٰذا حذر السلف من هٰذا.

مثل ما قال العلامة الشيخ محمد الأمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ صاحب «أضواء البيان»، يقول: الرابطة التي تربط بين أهل الأرض أي: من أهل الإيمان، بل التي تربط بين أهل الأرض وأهل السماء هي لا إله إلا الله؛ فلا يجوز البتة النداء لرابطة سواها، لا ترفع رابطات أخرى، لا ترفع شعارات أخرى، نجتمع على لا إلٰه إلا الله على ما بيّن الله تعالى من معناها وبيّن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونأتلف، أما أن نجتمع على أنواع معينة نقررها وكتبها، وأحوال محددة وربما حصل بها حتى بيعات لا شك أن هٰذا من المنكر العظيم، وأن هٰذا من تشقيق الأمة، فالأمة يجب أن تكون جماعة واحدة.

ولهٰذا بدأ بحديث الحارث الأشعري بعد أن ذكر الآية: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الحج: ٧٨]، لا نرتضي بغير تسمية الله اسمًا، سمانا الله المؤمنين لا نرتضي بغير تسمية الله اسم عباد الله، لا نرتضي بغيرها اسمًا.

❍ **السنة أيضًا من الأسماء الثابتة الدالة عليها التي وردت في النصوص**، فنحن أهل السنة، والجماعة كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**تفترق أمتي على ثلاثة وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة**»، قالوا: من هي؟ قال: «**الجماعة**» هٰذه التسمية التي يجتمع عليها الجميع الواجب أن يجتمع عليها الجميع، أما أن يفرق الناس وأن يكون لهٰذا اسم، ولمن معه اسم معين، ويتبع ذاك آخرون لهم اسم معين، حتى تجد الإخوة الأشقاء هٰذا تابع لجهة وهٰذا تابع لجهة، وبينهم من العداء والبغضاء والشر شيء عظيم بسبب أن هٰذا ينحى هٰذا المنحى، وهٰذا ينحى هٰذا المنحى، هٰذا الذي يخشى من عواقبه، وهٰذا الذي يضعف الجماعة، فالواجب أن يجتمع المسلمون الاجتماع السليم الذي كان عهد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنى الدولة بناء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أيها الإخوة!! في المدينة بناء تطبيقي، كانت دولة لها حاكم يقيم الشرع في ضوء جماعة، وما كان هناك جماعة أخرى تظهر على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ولهٰذا لما أبى المرتدون أن يؤدوا الزكاة مع قولهم: نحن نصلي لكن لا نؤدي الزكاة، رأى الصحابة أن هٰذا من الخروج على الجماعة فقاتلوهم حتى أعادوهم إلى حظيرة الإسلام.

❍ **فلهٰذا ينبغي أن يتقى الله، وأن تترك التسميات التي قطعت الناس وبترت الناس**، وجزء كبير من هٰذه التسميات هو بالظنون، أي: يسمع إنسان يقول كلمة كذا فيقول هٰذا من جماعة كذا، ويسميه باسم

ربما لا يدري بتاتًا بهٰذا الاسم، هٰذا الذي يخشى منه، حتى تباغض أهل الدين فيما بينهم، هٰذه العاقبة، وصارت القلوب متوحشة، وكل شيء يؤدي إلى وحشة القلوب والخلاف فإنه يجب إيقافه حتى ثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في البخاري أنه قال: «**اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم فإذا اختلفتم عنه فقوموا**» وهو القرآن؛ لأن القرآن يؤلف فإذا كنتم بقراءة سيؤدي ذلك إلى اختلافكم قوموا.

القرآن يؤلف الناس ما يفرقهم، معنى ذلك أن منهجكم خاطئ، قوموا لا تختلفوا وبين يديكم كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، فالواجب أن تترك هٰذه التسميات وأن تكون الجماعات هٰذه والأحزاب التي قال أهلها إنما يريدون نصرة الدين وإعزاز الجهاد في سبيل الله، وإعزاز الأمة ورفع الذلة التي تسلط بها اليهود والنصارى والملاحدة نقول: كونوا كلكم جماعة واحدة، وتكون طاقات هٰذه الجماعة وهٰذه الجماعة وهٰذا الحزب وهٰذا الحزب كلها تكون وجهة واحدة، في ضوء جماعة واحدة، يرجع فيها إلى أهل العلم، يستفتى أهل العلم فيها، أما أوضاع ونوازل مدلهمة لا يرد الأمر فيها لأهل العلم ثم يقال: نحن سنرفع من حال الأمة، لا هٰذا الذي يضعف الأمة أكثر وأكثر.

۞ قال المؤلف: «عن الحارث الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: آمركم بخمس الله تعالى أمرني بهن: السمع، والطاعة».

لماذا قال السمع والطاعة؟! لأنك قد تسمع ولا تطيع؛ فالسمع والطاعة لمن ولاه الله عَزَّوَجَلَّ أمرك، من ولاة الأمور تسمع وتطيع في غير معصية الله، أما في معصية الله فلا يطاع أحد، لا يطاع حاكم، لا يطاع زوج من قِبل زوجته، ولا أب من قِبل أبنائه، ولا عبد من قِبل سيده، الطاعة المطلقة لله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من سواهم تعرض أوامرهم على أوامر الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن خالفت يقال: لا، الذي أمرنا بطاعتك هو الذي نهانا أن نتبعك في هٰذه، فلا يطاع أحد في معصية.

۞ قال المؤلف: «السمع، والطاعة، والجهاد».

لأن الجهاد هو ذروة سنام الإسلام؛ لكن كما قلنا كرات ومرات، الجهاد له أحكام ويأخذ عن أهل العلم ولا يكون عاطفة جياشة.

❁ **قال المؤلف:** «والهجرة».

بأن يهاجر من بلاد الشرك إلى بلاد الإسلام.

❁ **قال المؤلف:** «والجماعة، فإنه من فارق الجماعة قيد شبر».

الشبر هٰذا هو قصير جدًّا لو فارق الجماعة هٰذه المفارقة.

❁ **قال المؤلف:** «فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه».

انظر إلى شدة الأحاديث في أمر مخالفة الجماعة، سمى خروجه ومفارقة الجماعة خلعًا لربقة الإسلام من عنقه.

❁ **قال المؤلف:** «إلا أن يراجع».

أي: قبل أن يموت، ولا يلقى الله على هٰذا الحال، وإلا إذا لقي الله على هٰذا الحال كما سيأتي في الحديث فإنه يموت ميتة جاهلية.

❁ **قال المؤلف:** «ومن دعا بدعوة الجاهلية فإنه من جثي جهنم».

دعوى الجاهلية لا ترفع بتاتًا في جماعة المسلمين، الجاهلية انتهت مع أبي جهل ومع أبي لهب، من أحياها فإنه مجرم مفسد في الأرض، يجب أن يعاقب ويردع التعذير ويعذّر ويردع الرادع الشرعي الذي لا يوقفه ويوقف من يمكن أن يرفع في الأمة راية الجاهلية، يجب أن تبتر أمور الجاهلية بترًا، فقال رجل: يا رسول الله وإن صلى وصام؟ السائل يسأل يقول: يكون له هٰذا الوعيد الكبير حتى لو كان من المصلين من الصائمين؟ قال: «**وإن صلى وصام، فادعوا بدعوى الله الذي سماكم**» أي: لتداعوا فيما بينكم ينادي بعضكم بعضًا لا بالألقاب والتنابز الحاصل الآن بين الناس.

❁ **قال المؤلف:** «المسلمين، والمؤمنين، عباد الله».

هٰذا الذي سمانا الله، أما هٰذه التسميات وهٰذه الجماعات وهٰذه الأحزاب لا شك أنها على غير الهدي السليم، فيجب أن يعود المسلمون إلى الله وأن يؤوبوا، وكل هٰذه الطاقات الموجودة هنا وهناك في جماعة وفي حزب تعود طاقة واحدة، يستفتى فيها أهل العلم؛ لأنها نوازل كبيرة، وتكون جهود هؤلاء جميعًا متجهة وجهة واحدة لرفع التوحيد ونبذ الشرك ورفع الذلة عن الأمة، فتكون الطاقات واحدة، بدل أن يعمل هٰذا في جهة وهٰذا في جهة، وهٰذا تحت حزب، وهٰذا تحت جماعة لا شك أن هٰذا على غير الهدي

السليم.

❁ **قال المؤلف:** «وفي الصحيح أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: من فارق الجماعة شبرا فمات فميتته جاهلية».

ما معنى الميتة الجاهلية؟!

يقول أبو سعيد الخدري فيما رواه صاحب «المصنف»: إياكم وميتة جاهلية، قالوا: فما ميتة الجاهلية؟ قال: أن تموت ولا إمام عليك، أي: أن تعتقد أن ولي الأمر هٰذا الذي بويع أن الأمر بالنسبة لك لا تلزمك بيعته، لو مت ولقيت الله على هٰذا الحال، حتى لو لم تهرق دمًا ولم ترفع سلاحًا، مجرد أن ترى أن بيعة المسلمين هٰذه لا تلزمك تموت ميتة جاهلية، وإن لم تؤذي أي أحد؛ لأن الأمر كما قال بعض أهل العلم قال: ليس لك أن تبيت وأنت تعتقد أن ليس في رقبتك بيعة، بيعة شرعية وجماعة مسلمة بويع الحاكم فيها المبايعة السليمة، لو تقول أن لن أهريق دمًا ولم أفعل شيئًا، لكن هٰذا الرجل بالنسبة لي والله أضر أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكن أنا لم أرى بيعته والأمر بيني وبين ربي، لو مت على هٰذا الحال فالله يعلمه منك تموت ميتة جاهلية، ولهٰذا قال: إياكم وميتة جاهلية، قالوا: وما ميتة جاهلية؟ قال: أن تموت ولا إمام عليك؛ لأنك إذا تركت البيعة هٰذه تكون فارقت الجماعة مفارقة الجماعة بنوعين، بمفارقتها بالخروج عليها بالسلاح، والنوع الثاني: باعتقاد أن هٰذه البيعة التي تمت بالجماعة لا تلزمك، هنا تكون ميتتك جاهلة وإن لم تهرق دمًا، فهٰذه أحكام خطرة جدًا، يجب أن تعلم، وأن تعرف حتى نكون في ضوء الجماعة.

❁ **قال المؤلف:** «وفيه: أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم».

لما اختصم اثنان أحدهما مهاجري والآخر أنصاري فقال الأنصاري: يا للأنصار ورفع بها صوته حتى يجتمع الأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، الاسمان اسمان شرعيان كريمان سماهما الله تعالى، سمى الله تعالى بهما الصحابة في القرآن لما رفع هٰذان الاسمان داخل الجماعة وهما اسمان شرعيان وأثنى الله على أهلهما، لكن لما رفع ليكون الناس تحت راية المهاجرين وهؤلاء تحت راية الأنصار بهٰذه الطريقة، لا شك أن هٰذا سيضر الجماعة، سمى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هٰذا دعوى جاهلية، ما بالك بأسماء أخرى، ما بالك بتسمية جماعات أو أحزاب، هٰذه الآن تسمية شرعية، لكن لما رفعت لينضوي المهاجرون مع هٰذا المهاجري، ويكون الأنصار مع هٰذا الأنصاري قال: «**أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟**» أي: وصلت الأمور إلى أن تظهر أمور الجاهلية وأنا حي موجود، ثم قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**دعوها فإنها منتنة**» المنتن هو الشيء القذر الخبيث الرائحة يقول هٰذه دعوى الجاهلية، دعوها فإنها منتنة.

قال المؤلف: «قال: أبو العباس».

وهو شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال المؤلف: «كل ما خرج من دعوى الإسلام والقرآن».

أي: عندنا الإسلام هٰذه دعوى الإسلام التي تضمنا جميعًا، وهكذا السنة، وهكذا القرآن الذي أكرمنا الله تعالى به، كل ما خرج من هٰذه الدعوى من نسب، وليس المقصود أن لا ينتسب الإنسان معاذ الله، لا بُدَّ من الأنساب «**اعرفوا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم**» وكونك تعطي ذا النسب صدقة يكون لك بها صلة وصدقة، لأ، لكن أن ترفع الأنساب لتثار النعرات في الجماعة هٰذا المقصود، أو بلد، أنا بلدي أفضل من بلدك، ثم داخل البلد الواحد نفسه تجد أصحاب هٰذه المنطقة نحن أفضل منكم هٰذه كلها من دعاوى الجاهلية، أو مذهب أو جنس، جنسنا أفضل من جنسكم، انتم من البربر، أنتم من الزنج، أنتم من كذا هنا أيضًا عدنا من جديد إلى دعوى الجاهلية، أو طريقة مثل الطرق الصوفية ونحوها فهو من عزاء الجاهلية، وهكذا الجماعات، وهكذا التحزبات كلها تدخل في هٰذا، قال: بل لما اختصم مهاجري وأنصاري فقال المهاجري: يا للمهاجرين، وقال الأنصاري: يا للأنصار، فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟**» وغضب لذلك غضبا شديدا. نعم، غضب صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان يصلي لما وقعت الواقعة هٰذه بين المهاجرين والأنصار، ونهاهم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن مثل هٰذا فإذا كان ينهى عن أن يرفع اسم مهاجرين والأنصار وهما اسمان شرعيان، فما بالك بأي اسم يلتف عليه الناس باسم جماعة أو باسم تحزب.

ملحظ يا إخوة: الكتاب لا يحرك بالرجل، الكتاب إذا أردت أن تحركه هكذا فيه آيات من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، فيه أحاديث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيه اسم الله فإذا أردت أن تحركه تأخذه بيدك وتضعه أمامك، أما بالرجل فلا يليق أن يحرك.

وَاللهُ أَعْلَمُ؛ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ(١).

---

(١) نهاية المجلس الثاني.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بَعْدُ:

۞ **قال المؤلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «باب وجوب الدخول في الإسلام كله وترك ما سواه، وقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾ [البقرة:٢٠٨] الآية، وقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ [النساء:٦٠] الآية، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ﴾ [الأنعام: ١٥٩] الآية.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ﴾ [آل عمران:١٠٦] تبيض وجوه أهل السنة والائتلاف، وتسود وجوه أهل البدع والاختلاف.

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ حَتَّى إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عَلانِيَةً كَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلا مِلَّةً وَاحِدَةً» قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي» فليتأمل المؤمن الذي يرجو لقاء الله، كلام الصادق المصدوق في هذا المقام خصوصاً قوله : «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي» يالها من موعظةٍ لو وافقت من القلوب حياة! رواه الترمذي، ورواه أيضاً من حديث أبي هريرة وصححه، لكن ليس فيه ذكر النار، وهو في حديث معاوية عند أحمد وأبي داود وفيه: «أَنَّهُ سَيَخْرُجُ من أُمَّتِي أَقْوَامٌ تتَجَارَى بِهِمْ الأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَى الْكَلَبُ بِصَاحِبِهِ فلا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلا مَفْصِلٌ إِلا دَخَلَهُ»، وتقدم قوله: «وَمُبْتَغٍ فِي الإِسْلامِ سُنَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ».

هٰذا الباب جعل عنوانه رَحِمَهُ ٱللَّهُ في وجوب الدخول في الإسلام كله وترك ما سواه، الذي يعلم أن هٰذا الدين حق ليس له أن يتشهى، فيأخذ من الدين ما وافق هواه ويدع ما لا يوافق هواه، الدين كله حق، وليس ثمة شيء من الدين إلا وفيه مصلحة العباد في دنياهم وأخراهم، فليس لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر إلا أن يدخل في السلم كافة، كما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾ [البقرة:٢٠٨] ففيه ولله الحمد، في الإسلام الغنية عن أن تلفت إلى شيء مما كان قبله كديانات أهل

الكتاب، أو تلفت إلى شيء من ضلالات من جاء بعدهم كغلايا أهل الغرب والشرق الآن، في السلم في الدين ما يكفي ولله المنة والحمد، ادخلوا في السلم كافة، أمر بأن يأخذ الإسلام كله، وأن لا يترك شيء ويعمل بشيء فإن هٰذا منهج اليهود، قال الله عَزَّوَجَلَّ عن اليهود: ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ﴾ [المائدة: ٤١]

❍ **ثم أورد قوله تبارك تعالى:** ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾ [النساء ٦٠] يعجب الله عَزَّوَجَلَّ من هؤلاء الأفاكين الكذابين، يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إلى النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ويزعمون أنهم آمنوا بالذي أنزل قبله، والنتيجة عجيبة للغاية، أنهم يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت، فما داموا يؤمنون ويجزمون بما يزعمونه من أنهم آمنوا بما أنزل إلى النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وآمنوا بما أنزل قبله مما أنزله الله تعالى على الأنبياء؛ فلماذا يلجؤون إلى حكم الطاغوت؟ الطاغوت في هٰذه الآية يراد به التحاكم إلى غير الشرع؛ لأن الطاغوت يطلق كما في شرح قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦] يراد بالطاغوت في هٰذه الآية ونظائرها: المعبود من دون الله من أوثان أو أصنام، أو ما عبد وهو راضي.

❍ **أما هنا فالطغيان من جهة التحاكم،** ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ فكل شيء على خلاف شرع الله مما جعل للناس ليتحاكموا إليه يصدق عليه أنه طاغوت، سواء أكان هٰذا الطاغوت من أوضاع الناس وأعرافهم المخالفة للشرع التي يريدون أن يستبدلوها أن يزيلوا الشرع ويجعلوها مكانها باسم أعراف أو أسلاف، أو سوالف أو نحوها، أو مما يجتلب من أهل الكفر من أهل الشرق أو الغرب ويزعم أنه من الأنظمة التي تناسب الأعصار الأخيرة فإن كل هٰذا طاغوت لا شك فيه، وليس لعباد الله في أرض الله إلا حكم الله عَزَّوَجَلَّ، وإلا فالتخبط والعمى والعمه والضلال المبين.

فالذين يزعمون بأنهم آمنوا بالنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ثم يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت ومعلوم أنهم

كما قال تعالى: ﴿وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ فهؤلاء أهل الضلال البعيد المبين.

فالحاصل أن الذي يؤمن بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتحاكم إلى شرعه، أما أن يزعم بأنه مؤمن به وبما أنزل من قبل ثم يتحاكم إلى أحكام سواه فإنها هو متحاكم إلى الطاغوت.

ثم ذكر قول الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩] هنا براءة يبرأ الله عَزَّوَجَلَّ بها نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أهل الاختلاف وأهل التفرق؛ لأن هٰذا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جمع الله عَزَّوَجَلَّ به أهل الحق من الجن والإنس على الحق الذي بعثه الله تعالى به، فالذين فرقوا الدين لا شك أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منه براء، فمن فرقوا دينهم ممن كانوا قبلنا من أهل الكتاب فالنبي منهم بريء لأنهم اختلفوا من بعد ما جاءتهم البينة كما ذكر الله، والذين تفرقوا بعد ما جعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هٰذه الأمة على المحجة فقال: «**تركتم على مثل البيضاء ليلها كنهارها**» فمعنى ذلك أنهم تفرقوا -والعياذ بالله- تركوا النور إلى الظلمة، وتركوا الهدى إلى الضلال، فالله عَزَّوَجَلَّ يبرئ نبيه من هٰذا الصنف الذي تفرق عن الحق بعدما وصل إليه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

ثم ذكر أن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فسر قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦] بأن المراد أن تبيض وجوه أهل الحق من أهل السنة وأهل الائتلاف، وأن تسْوَدّ وجوه ضدهم من أهل البدع والاختلاف.

وجاء عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وعن غير واحد من الصحابة كمعاوية وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعًا جاءت عدة أحاديث في بيان أن هٰذه الأمة ستتفرق كما افترقت الأمم قبلها، ومن أمثلة هٰذه الروايات حديث معاوية أنه هٰذه الأمة ستتفرق إلى ثلاث وسبعين ملة، وفي الألفاظ الأخرى ستفترق على ثلاثة وسبعين فرقة، مجموع هٰذه الأحاديث يدل على أن لها أصلًا، وحديث معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورد بسند جيد، فيه أن هٰذه الأمة ستسلك مسالك مَن قبلها، وأن الفرقة التي دبت إلى من قبلها ستدب إلى هٰذه الأمة، وذلك أن الذي يأتيه الهدى ثم يزهد فيه ويذهب إلى طرائق على خلاف ما بعث الله به النبي المرسل إليه فإن عاقبته هو أن يسلط الله تعالى عليهم الاختلاف، وأن يلبسهم شيعًا، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن

﴿فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥]، فالذين تركوا الحق بعدما بُيّن إلى طرائق هبت فتنة في أول في زمن الصدر الأول فتنة الخوارج، وفتنة الرافضة، ثم هبت فتنة أخرى فتنة القدرية، هبت فتنة الإرجاء، ثم هبت فتنة نفاة الصفات من الجهمية وولاهم بعد ذلك المعتزلة وتفرق من ذلك الكُلابية، وتفرق بعد ذلك في الأشعرية والماتريدية، ثم تلونت أنواع الفرق الباطنية، وتشتت من ترك المنهج الذي عليه أهل السنة والجماعة إلى هٰذه الفرق الكثيرة، ثم ابتليت الأمة لاحقًا بمن شغفوا بالفلسفة اليونانية وهي فلسفة وثنية قامت في بلاد لا تعرف ضياء النبوة ولا الهدى قوم وثنيون يعبدون الأوثان وجعلوا لهم طرائق وضلالات في الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فترجمت أوضاعهم في زمن بني العباس، وتأثر بها من تأثر من المعتزلة وأضرابهم، ثم ابتليت الأمة بمحنة المعتزلة في زمن المأمون، ثم بعد ذلك صارت الضلالات تتفرق وتتلون، وصار هناك من يعجب ويروق له ما عليه تعبد الرهبان من النصارى، آخرون يروق لهم تعبُّد أهل الديانات الشرقية من الهنود وأهل المشرق من البوذيين ونحوهم، ويأخذون من هؤلاء طرائق، من هؤلاء طرائق ففشت في الناس أمور لا أساس لها يأتي إن شاء الله تعالى أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ**» هؤلاء كلهم تفرقوا عن الحق بعد ما جاءهم، وبعد ما بيَّن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبلغ البلاغ المبين وأقام الحجة على الناس إلى قيام الساعة فتفرق هؤلاء وأضعفوا الأمة وأوهنوها هٰذا الوهن الشديد، ثم ابتليت الأمة في قرونها الأخيرة باحتلال أعداء الله عَزَّوَجَلَّ من الصليبيين من الفرنسيين والانجليز والإيطاليين والبرتغال والأسبان، وأنواع منهم ممن سمي ظلمًا وزورًا بالاستعمار وهو دمار وليس باستعمار، ولم يذهب هؤلاء المجرمون من بلاد الإسلام حتى رسخوا جزءًا غير قليل من كفرياتهم وفجورهم ومساوئ أخلاقهم، وورثها مجموعة من الذين هم من جلدتنا ويتحدثون بألسنتنا وصاروا ألسنة تتحدث بالنيابة عنهم، وصارت أشكالهم أشكال أناس من هٰذه الأمة وقلوبهم وعقولهم عقول أعدائها، فظهرت هٰذه الضلالات الهائلة الكثيرة في الأمة على هٰذا النحو ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [النحل].

حين يأتي إنسان لا علم له فيخوض في العلم الشرعي هو ملوم عند الله عَزَّوَجَلَّ، حين يأتي إنسان يعلم الحق ويتنكبه بدعاوى باطلة أن هٰذا هو المناسب للأمة وأن الأمة ينبغي أن تستفيد مما عند هؤلاء من الأوضاع هو ملوم عند الله عَزَّوَجَلَّ، حين يأتي جاهل يخبط ويعمه لا يدري في أي وادٍ يهيم ولا يسأل أهل

العلم هو ملوم عند الله عَزَّوَجَلَّ.

ولهٰذا كان أمر لزوم أهل العلم الثابتين على السنة فيه دومة لأهل السنة ولأهل النجاة، بقدر ما يقبلون على العلم السليم الشرعي المؤصل بقدر ما تكون العافية والسلامة لهم، وبقدر ما يزهدون فيما بعث الله عَزَّوَجَلَّ به نبيه من الهدى والعلم وفي ورثة الأنبياء من أهل العلم والبصيرة بقدر ما يصيبهم ما يصيبهم من الضلال.

ومع ذلك فإن الله لن يخلي -ولله الحمد- الأمة بين فترة وأخرى ممن يجدد له ذلك حتى جعل ذلك وله الفضل والمنة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها، ومنهم الإمام الجليل الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فإنك إذا تأملت القرن الثاني عشر حتى لو كنت مبغضًا لهٰذا الرجل -والعياذ بالله- فإنك لا تستطيع إلا أن تقول هو المجدد، لأنه انقطع الأمر في الأمة من طريق أحد يذكر السنة وأدلتها إلا منه رحمة الله تعالى عليه، وما جعل الله عَزَّوَجَلَّ بعده من الخير الكثير على جزيرة العرب وعلى عموم العرب، وعلى البلاد التي صارت فيها دعوتها هو من أظهر الأدلة على حسن مسلكه رحمة الله تعالى عليه، وأجزل الله له المثوبة وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

❍ **فلا يخلي الله وله الحمد والمنة لا يخلي الله عَزَّوَجَلَّ الأمة من قائم بالحق وقائل به ولله الفضل،** ولكن لا شك أن التفرق شديد، وأن كثيرًا من الناس يعيشون منذ أزمنة طويلة جدًّا في باطل يظنون أنه الحق، وشرك يظنون أنه الهدى، وبدعة يظنون أنها السنة؛ فلهٰذا تفرقت الأمة هٰذا التفرق، ولولا أن الله تعالى من وصفه العظيم: الحلم، والعفو، والرحمة لكانت أوضاع الأمة أسوأ بكثير مما هي عليه؛ لكن فضل الله وحلمه عَزَّوَجَلَّ واسع، وإلا أوضاع الأمة أوضاع لا شك أنها محل معها لعقوبة أصرم وأشد؛ لكن فضل الله ومنته والرجاء منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يعيد الأمة إلى سالف ما كانت عليه زمن سلفها وأن تؤوب وتعود إلى ربها، وإلى الأوضاع حين تنقلب هٰذا الانقلاب الهائل في كثير من بلاد المسلمين حتى تكون كما قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: كيف بكم إذا لبستكم فتنة يشب فيها الصغير ويهرم عليها الكبير فإذا غيرت قيل غيرت السنة، تعودوها منذ بعضهم من مئات السنين وهم على هٰذا الحال، في ظنهم أن الشرك هو الذي أمر الله به، والبدعة يظنونها السنة، والسنة والتوحيد يظنونها الباطل، هٰذا من آثار هٰذا التفرق، إلى حد ذكر في الحديث تشيب منه الرؤوس.

فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل**» كل ما وقع في بني إسرائيل يقع في هٰذه الأمة «**حتى إن كان فيهم** -نسأل الله العافية والسلامة- **من أتى أمه علانية**» جريمتان من أفظع الجرائم زنا بمحرم وبالأم بالذات، ثم إنه يفعل هٰذا علانية «**كان في أمتي من يصنع ذلك**» -نسأل الله العافية والسلامة-، من شدة ما يتأسون بأوضاع أهل الكفر من اليهود والنصارى، حتى ليقلدوهم كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلوه معه.

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**لتركبن سنن من كان قبلكم حلوها ومرها خيرها وشرها**» -نسأل الله العافية-، وهٰذا من العمى العظيم، أن يركبوا حتى الشرك والمر -نعوذ بالله من حال الزيغ والضلال- «**وإن بني إسرائيل افترقت على اثنتين وسبعين ملة**» عبر في حديث معاوية بالملة، وقال في بقيته:«**وستفترق** هٰذه **الأمة على ثلاث وسبعين ملة كله في النار إلا واحدة**» ثم قال له الصحابة، وهٰذا من فقه الصحابة وعلمهم ما قالوا عدد لنا الفرق الضالة، وماذا يقولون وماذا عندهم، وما رأيهم في كذا، لم يكترثوا بالهالكين، سألوا عن الناجية، لما أخبر أن ثمة فرقة واحدة هي التي تنجوا، قالوا: من هي يا رسول الله؟ هٰذه الناجية، أما الهالكون الكثرة الكاثرة، قال: «**ما أنا عليه وأصحابي**» والحديث فيه ما يخيف إذا كان في الأمة ثلاث وسبعون فرقة كلها في النار -أي أن اثنان وسبعون منها في النار-، والناجية واحدة، فلو أن الناجية اثنتان وسبعون والهالكة واحدة لخاف الحصيف العاقل أن يكون من هٰذه الواحدة، فكيف والهالك اثنتان وسبعون والناجية فرقة واحدة.

هٰذا يؤكد على طلبة العلم أن من أعظم ما يتقربون به إلى الله عَزَّوَجَلَّ أن يتعلموا العلم؛ لأنك لن تنجوا بعد رحمة الله إلا بالعلم، وأن تتحمل ما قد تكابده من مشقة العلم وتتبعه ودراسته وإمضاء الأوقات فيه، عليك أن تتحمل هٰذا لأن الله تعالى جعل للمتقين أئمة كما قال عَزَّوَجَلَّ في دعاء أهل الإيمان: ﴿وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ٧٤﴾ [الفرقان: ٧٤] ولن يكون المرء إمامًا للمتقين إلا إذا كان على بصيرة وعلم، أما إذا لم يكن على بصيرة وعلم وكان من المتقين فإنه تابع لغيره، لا يمكن أن يكون إمامًا في الهدى إلا إذا كان على بصيرة وعلم يمضي على هدي من الله عَزَّوَجَلَّ، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «**ما أنا عليه اليوم وأصحابي**» الذي يريد النجاة يلزم ما كان عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، وهٰذا كما قلنا يقتضي أن تتعلم ما الذي كان عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما الذي كان عليه أصحابه حتى تلزمه.

قال المؤلف: «فليتأمل المؤمن الذي يرجو لقاء الله كلام الصادق المصدوق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هٰذا المقام، خصوصًا قوله: «ما أنا عليه وأصحابي» يا لها موعظة لو وافقت من القلوب حياة».

لأن معنى ذلك أن أحدًا لن ينجو إلا إذا سلك مسلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومسلك أصحابه، هٰذا المعنى، فإذا لم يسلك هٰذا المسلك الكريم فمعنى ذلك أنه دخل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ﴾ [الأنعام: ١٥٩] فكيف يكون منهم وهم تركوا المسلك الذي كان عليه أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

ثم ذكر أن الحديث باللفظ الآخر وهٰذا من حديث معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فهو من حديث معاوية «**سيخرج من أمتي قوم تتجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه**» الكلب داء، ينشأ من آثار عض الكلب للإنسان، فيصيبه داء يسمى داء الكلب، هٰذا الداء من شدته وفظيع ألمه يكون في كل عرق ومفصل من الإنسان من شدته، وشدة ألمه، شبه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إقبال هؤلاء على هٰذه الأهواء وانتشارها فيهم وتغلغلها في قلوبهم بمثل ما يصيب صاحب الكلب إذا تغلغل هٰذا الداء فيه.

قال المؤلف: «فلم يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله».

نسأل الله العافية والسلامة، ولهٰذا قال الله عَزَّوَجَلَّ في اليهود لما أحبوا العجل عياذًا بالله قال: ﴿وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ بِكُفۡرِهِمۡۚ﴾ [البقرة: ٩٣] -نسأل الله العافية- من شدة ما أحبوا عبادة العجل.

هٰذا كله يقتضي أيها الإخوة الحذر والحرص على السنة وتعلمها ولزومها والصبر لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في مثل هٰذه المقامات، والحرص على أن لا يعجب الإنسان برأيه وبنفسه؛ لأن هؤلاء الضالين من هٰذه الفرق كل أحدي يقول: أنا على الصواب، ولو لا أني على صواب ومسلكي سيدخلني الجنة ما بذلت فيه عمري وما أنفقت فيه مالي، فكل أحد معجب بهٰذا الرأي الذي هو قد رآه وجزم بأنه فيه على صواب وأحسن الظن بأناس ليسوا أهلًا لحسن الظن، وترك الحديث الصحيح الثابت عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وترك الفهم السوي السليم الذي فهمه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من نصوص القرآن والسنة؛ ولهٰذا جاء أن مالكًا رَحِمَهُ اللَّهُ بلغه أن رجلًا من أهل الأهواء سئل وهو عند موته قيل له: على أي شيء تموت؟ قال: أموت على دين أبي

عمارة، فقال مالك: انظروا إلى هٰذا، يقول: أموت على دين أبي عمارة ولم يقل أموت على دين أبي القاسم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أمت على دين محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فما تذكر نسأل الله العافية إلا أبي عمارة هٰذا زعيم فرقته هٰذه التي أحسن بها الظن، فمن شدة إحسانه الظن بأبي عمارة هٰذا ما قال أموت على دين أبي القاسم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: أموت على دين أبي عمارة، فانظروا إلى هٰذا الشقي يترك أن يقول أموت على دين أبي القاسم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيستمر حبه لهٰذا الرجل فيقول: أموت على دين فلان، فهٰذا نموذج لكون البلاء قد تشربته الأمة، نسأل الله العافية فصاروا كصاحب الكلب الذي أصابه هٰذا الداء ولم يبقى عرق ولا مفصل إلا وقد دخل فيه.

وهٰذا كله يؤكد على أهمية إسلام الوجه لله وسؤال الله عَزَّوَجَلَّ أن يهدي العبد لما اختلف فيه من الحق بإذنه، وفي هٰذا الدعاء العظيم: «**اللَّهمَّ رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل عالم الغيب والشهادة، فاطر السَّمٰوات والأرض أنت تحكم بين عبادكم فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك**» فاختلاف الحق كثير تسأل الله أن يهديك لما اختلف فيه من الحق، أما الباطل كثير لا تكترث به، أهم شيء عليك أن تعلم الحق وتدين الله تعالى به، فإذا احتيج إليك لترد على أهل الباطل فتلك مرحلة لاحقة لا تكون الآن.

فاضبط الحق واعرف الحق، واعرف أدلته حتى تلقى الله تعالى به، فإذا احتاج الباطل إلى رد فالله لا يخلي الأمة ممن يرد على الباطل ويدحضهم بإذنه ومنته، لكن المهم الأهمية البالغة أن نعلم الحق وأن ننشره في الناس.

۞ **قال المؤلف:** «باب ما جاء أن البدعة أشد من الكبائر وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ الآية [النساء:٤٨] وقوله تعالى: ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ﴾ [الأنعام: ١٤٤] الآية، وقوله تعالى: ﴿لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۙ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ٢٥﴾ [النحل: ٢٥] الآية.

وفي الصحيح أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال في الخوارج: «أينما لقيتموهم فاقتلوهم لئن لقيتهم لأقتلنهم قتل عاد». وفيه أيضًا أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عن قتل أمراء الجور ما صلوا.

وعن جرير بن عبد الله ﷺ أن رجلاً تصدق بصدقة ثم تتابع الناس فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا من بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ». رواه مسلم.

وله مثله من حديث أبي هريرة ﷺ لفظه: «من دعا إلى هدى -ثم قال- ومن دعا إلى ضلالة».

هٰذا الباب في بيان خطر البدع.

❍ **البدعة أولًا ينبغي أن نعرف معناها، معناها:** ما أحدث بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه بلا دليل، وعرفها الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في «**الاعتصام**» بقوله: طريقة في الدين مخترعة تضاهي الطريقة الشرعية، يقصد بالسلوك عليها التعبد أو التقرب لله.

فالبدعة طريقة من الطرق تارة تكون قولًا، وتارة تكون فعلًا، وتارة تكون أوضاعًا تعبدية قلبية مخترعة، هي في الدين وليست في الدنيا، مخترعة أي: لا أساس لها من الشرع وليس لها أصل، تضاهي الطريقة الشرعية أي: أنها مثلها تماثلها تشبهها، وهٰذا وجوه خطر البدعة.

❁ ماذا يقصد أهل البدع في العموم الأغلب؟!

يقصدون التقرب إلى الله، يظنون أنها تقربهم إلى الله عَزَّوَجَلَّ وهي لا تزيدهم من الله تعالى إلا بعدًا، وأوضعها كما في التعريف السابق: ما أحدث بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غير دليل، لماذا نقول بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ لأنه لما أنزل الله تعالى على نبيه هٰذا الدين الكامل قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣] علمنا أن الشيء الذي يكون بعده أنه لا شك أنه من الباطل، ولا يمكن أن يكون جزءًا من الدين وهو أمر لم يكون عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا أصحابه الكرام ﷺ وأرضاهم، ولهٰذا قال مالك فيما ذكره الشاطبي في «الاعتصام» قال: من أحدث في هٰذه الأمة بدعة بعد سلفها فقد زعم أن محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خان الدين؛ لأن الله يقول ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وما لم يكن يومئذ دينا لا يكون اليوم دينًا، أي: الشيء الذي لم يكن من دين الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقت الوحي لا يمكن أن يكون اليوم دينًا ينسب إلى الشرع، وهٰذا يدل على أن ما يحدث بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه من البدع.

البدعة من حيث العموم هي أشد وأقبح من الكبائر، نحن نعلم أن الذنوب قسمان:

❍ **القسم الأول:** ذنب لا يغفر البتة وهو الشرك الأكبر، وقال بعض أهل العلم: إنه يدخل فيها أيضًا الشرك الأصغر فإنه إذا لقي الله به حتى لو كان مسلمًا فإنه لا بُدَّ أن يعاقب عليه.

❍ **القسم الثاني:** الذنوب التي هي ما دون الشرك ما في الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ فهٰذا داخل في حد عدم المغفرة، ثم قال: ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ فكل ما سوى الشرك فإنه قد يغفره الله عَزَّوَجَلَّ إذا شاء ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾.

❁ الذنوب نوعان:

❍ **النوع الأول:** ذنوب تسمى كبائر، وهي الموبقات العظام كالسحر، والسحر كفر على الصحيح، كقتل النفس، والزنا، وشرب الخمر، وقذف المحصنات الغافلات، ونحو ذلك هٰذه موبقات كبار.

❍ **النوع الثاني:** من الذنوب هي الصغائر.

❁ إذا أتينا لننظر إلى البدعة، البدعة نوعان:

❍ **النوع الأول:** بدعة مكفرة يخرج صاحبها من الملة فهٰذه ملحقة بالذنب الذي لا يغفر وهو الشرك.

❍ **النوع الثاني:** بدعة غير مكفرة، أي أن صاحبها يعد من المسلمين لكنه مبتدع.

أين نضع البدعة من جهة الذنوب وأعني البدع غير المكفرة؟ جنس البدعة أشد من جنس الكبائر، لماذا نقول جنس البدعة؟ لأن ثمة بدعًا قد تكون صغيرة، فلا يقال: إن هٰذه البدعة الصغيرة أعظم من موبقات الذنوب الكبار كالقتل على سبيل المثال، **نعطي مثالًا**: من أهل العلم من رأى أن التسبيح بالسبحة بدعة، وقال آخرون: إنه ليس ببدعة وإن له أصلًا عند السلف، ليس الكلام الآن على حكم السبحة، الكلام على القول بأنها بدعة إذا قيل إن السبحة التسبيح بها بدعة، هل تكون السبحة أشد من قتل النفس، هٰذا المراد، لا يراد هٰذا قطعًا؛ لأن في البدع ما هو بدع صغيرة وفيها بدع كبيرة؛ فلا تأتي إلى بدع صغيرة لتقارن بها الموبقات الكبار.

الحديث هنا عن الجنس جنس البدعة أشد من جنس الكبيرة، هكذا، أما أن تأخذها على سبيل

المفاريد، تقول هٰذه البدعة على القول بأن السبحة بدعة أشد من قطع الطريق وشرب الخمر وعقوق الوالدين والزنا، لا ينبغي أن يقول هٰذا أحد، وليس هٰذا مقصد أهل العلم -رحمهم الله-، هم كلامهم عن جنس البدعة أنها أشد من الكبيرة، أما أن تأخذ المفاريد لتقارنها بالموبقات فهٰذا ليس بصواب.

❍ **الكلام عن جنس البدعة،** لماذا البدعة من حيث جنسها أشد من الكبائر؟ صاحب الكبيرة يقول: أنا أعلم أني مذنب، وأن شربي للخمر جريمة وأنا استغفر الله واسأله يعينني على تركها، وإن عاقبني الله تعالى فأنا والله مستحق، وإني لأغبط الذين عافاهم الله تعالى واسأل الله أن يجعلني منهم وأن يعافيني من هٰذا الشر والبلاء الذي أنا به متورط، إذًا فهو منكسر صاحب الذنب منكسر مقر بذنبه، صاحب البدعة ماذا يقول؟ يقول أنا الذي على صواب، والذين خالفوني ضلوا، والحق فيما أنا عليه والواجب على غيري أن يتبعني، والذين تخلفوا عن هٰذا الذي أنا أدعو إليه هم من الكسالى، وهم من المفرطين، فهو رافع أنفه مغتر ببدعته، هٰذا الفرق الأول.

❍ **فلأجل هٰذا يأتي الفرق الثاني:** صاحب البدعة لا يتوب لو قلت له: تب من بدعتك قال: سبحان الله أنا الآن أدعوك إلى أن تشاركني وتقول لي تب أتوب من الحق أتوب من الأجر؟!! هٰذا الذي أنا عليه يجلب لي الأجر، أما صاحب الذنب فيتوب؛ لأنه مقر أن ما هو فيه من الذنب، فمن هنا قال سفيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: صاحب البدعة لا يتوب، وصاحب الذنب يتوب؛ لأن صاحب الذنب مقر أنه على باطل، وصاحب البدعة يقول: البدعة أسوأ من الذنب؛ لأن الذنب يتوب منه المرء والبدعة لا يتاب منها، فلو قلت لأحد هؤلاء الذين يقيمون الموالد البدعية لماذا لا تتب إلى الله؟ يقول لك: لماذا لا تتوب أنت، أنت المتخلف عن الحق، أنت الآن تطلب مني أترك هٰذا الأجر وهٰذا الثواب العظيم الذي أنا فيه، فهو لا يتوب إلا أن يمن الله عليه كما سيأتي إن شاء الله؛ فلهٰذا صارت البدعة أسوأ.

❍ **الأمر الآخر الثالث:** البدعة أسوأ باعتبار آخر، وهي أنها تنسب للدين فصاحب البدعة يقول هٰذه من دين الله، وهٰذه دلت عليها النصوص، أما صاحب الذنب يقول: معاذ الله هٰذه ليست من الدين ودين الله بريء منها، فللبدعة جملة من الاعتبارات تجعلها أسوأ من الكبائر.

ومن الاعتبارات وهٰذا الرابع أيضًا، ويمكن أن تذكر أشياء كثيرة: أن المبتدع كأنه يستدرك على الشرع كأنه يستدرك نقصًا يقول هٰذا ينبغي أن يضاف إلى الشرع ليسد هٰذا النقص، أما المذنب فلا يقول هٰذا،

فلأجل ذلك يقال: البدعة أشد من الكبيرة هٰذا قطعًا على سبيل الجنس كما قلنا.

ثم ذكر الآية الأولى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ الآية [النساء:٤٨] ما علاقة الآية بالباب؟ الذي يظهر أن مراده في البدع بدعًا شركية يخرج بها المرء من الملة، فيدخل في عموم الآية.

وذكر قول الله تعالى: ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ﴾ [الأنعام: ١٤٤]، المبتدع افترى على الله أن هٰذه البدع والضلالة من الدين، ليضل الناس، نعم وأضل الناس بأن نسب إلى الدين فاتبعوه، وأضل الناس بلا علم قطعًا.

وقول الله عَزَّوَجَلَّ في هؤلاء الذي يدعون إلى الباطل: ﴿لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۙ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ﴾ [النحل: ٢٥] هٰذا فيمن يدعو إلى بدعته، الذي يدعو إلى بدعته يبوء هو بإثم بدعته ثم يبوء بإثم كل من أجابه وأطاعه ببدعته فيحمل وزره ووزر من اتبعه إلى يوم القيامة ﴿لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۙ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ﴾.

المصنف هنا ذكر حديثين يدلان على ما عند هٰذا الإمام العظيم رحمة الله تعالى عليه من الفقه، قد يقرأ القارئ يقول ما علاقة الآن هٰذا الحديث في موضوعنا.

❁ قال المؤلف: «وفي الصحيح أنه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال في الخوارج: «أينما لقيتموهم فاقتلوهم لئن لقيتهم لأقتلنهم قتل عاد».

واضح لأن الخوارج مبتدعة، والنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وعد وعدًا أنه إن أدركهم ليقتلهم، ولن يقتلهم قتلًا سهلًا بل سيقتلهم قتل استئصال كما حصل لقوم عاد، قال الله تعالى: ﴿فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ ۝٨﴾ [الحاقة: ٨] أبيدوا كلهم، يقول لئن أدركت الخوارج أبدتهم إبادة ما أبقي فيهم أحد، هٰذا المعنى، «**لئن لقيتهم لأقتلنهم قتل عاد**» وقال للأمة: «**أينما لقيتموهم فاقتلوهم**» فهٰذا حكم الخوارج، إذا ثبت أنه من الخوارج فإن حكمه شرعًا القتل.

ولهٰذا لما دخل صبيغ بن عسل صاحب البدعة والأسئلة التي أغاظت عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأربكت الناس أمره أن يحسر عن رأسه، فلما رأى عليه شعرًا قال: والله لو لقيتك محلوقًا لضربت عنقك، لماذا؟ لأن الخوارج

في ذاك الوقت كانوا يحلقون رؤوسهم، وأخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن هٰذه من علاماتهم، قال: لو لقيت هٰذه العلامة فيك لقتلتك قتلًا؛ لأنها علامة على أنك خارجي.

ولهٰذا أيضًا لما جاء أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الشام إلى عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكان قد أنكر على أهل الشام التوسع في المآكل والمشارب والملذات، فدعاه عثمان ليبقى في المدينة؛ لأن أبا ذر كان عنده زهد عظيم، والناس لا يطيقون الزهد، قال: تعالى إلى المدينة عندنا، فلما دخل ماذا فعل أبو ذر؟ حسر عن عمامته وقال: يا أمير المؤمنين أنا منهم؟ أي: أنا لست بمحلوق أنا لست بخارجي فقال عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أخبره إنما دعاه ليدنيه ويقربه لما يدعوه على أساس أنه خارجي معاذ الله، فأمره أن يبقى في المدينة فلما كثر الناس على أبي ذر جاء لعثمان واستأذنه استئذانًا كما في البخاري، لا كما يقول الروافض وأتباعهم أن عثمان نفاه، لم ينفه عثمان استئذنه أن يذهب إلى الربضة، فقال: نعم ونرسل إليك اللقاح أي: الإبل لتشرب من حليبها، قال: لا أريد دنياكم، فكان عنده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هٰذا الزهد الموجود عنده، الآن هٰذا كله في الخوارج المبتدعة.

قال المؤلف: «نهى عن قتل أمراء الجور ما صلوا».

ماذا يريد المؤلف؟!

يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر بقتل الخوارج لأنهم مبتدعة، «**أمراء الجور**» أي: الحكام الظلمة نهى عن قتلهم لماذا؟ لأنهم أهل كبائر، أما الخوارج فأمر بقتلهم، يقول أمراء الجور نهى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن قتلهم ما صلوا؛ مع أنهم يظلمون وما يفعلونه من الذنوب العظام قد يتعدون على الناس في أموالهم في دمائهم قد يضرون الناس ضررً بالغًا، قد يسجنونهم على غير وجه حق، قد يستأثرون بالأموال، وأخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن ذلك كل كائن منهم ثم نهى عن قتالهم، وأمر بالصبر عليهم، لم؟ لأن مظالمهم مظالم تدخل في الذنوب.

أما الخوارج ففعلهم يدخل في البدعة، قال: فدل ولهٰذا الباب هنا ما جاء أن البدعة أشد من الكبائر فدل على أن صنيع الخوارج أسوأ من صنيع الحكام، فالحكام إذا ظلموا فإن فعلهم فعل أهل ظلم وجور وتعدي، ولهٰذا ثبت عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال في الحجاج: «**يخرج في ثقيف كذاب ومبير**» الكذاب: هو المختار بن أبي عبيد ادعى النبوة، المبير: هو المهلك، ومع ذلك أمر بالصبر عليه وعلى أمثاله، لأنه وإن ظلم وتعدى فهو من أهل الكبائر من المسلمين، من أهل الظلم فهو من المسلمين، أما الخارجي مع أن

الخارجي شديد العبادة حتى قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيهم قال للصحابة: «**تحقرون صلاتكم**» أي: يا معشر الصحابة «**مع صلاتهم**» الصحابة من أعظم الناس صلاة، قال: «**وتحقرون**» أي: يا معشر الصحابة «**صيامكم مع صيامهم**» مع أن الصحابة كثيرو الصيام، قال سيأتيكم هؤلاء أشد صومًا منكم وأطول صلاة، ومع ذلك أمر بقتلهم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، لم؟ لأن الخوارج قولهم مبتدع، والسلاطين أمرهم من قبيل الظلم والتعدي، والتعامل مع الظالم غير التعامل مع المبتدع.

❍ **كل هٰذا يدل على ما بوب عليه**، والحقيقة أنه رَحِمَهُ اللَّهُ قد يشير هنا وفي كتاب «التوحيد» إشارات دقيقة جدًا، تحتاج من طالب العلم أن يتأمل، لأنه قد يقول قائل: ما علاقة هٰذا لو كان يتكلم عن الجماعة ووجوب الصبر على جور الحكام يكون واضحًا، لكن ما علاقة أن يدخل هؤلاء بعد حديث الخوارج؟ هٰذا هو سببه أن الحكام إذا ظلموا ففعلهم من قبيل أهل الكبائر، أما هؤلاء ففعلهم من قبيل فعل أهل البدع.

ثم ذكر حديثًا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه أن رجلا تصدق بصدقة ثم تتابع الناس، وذلك أن قومًا أتوا النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وكانوا شديدي الحاجة جدًا، فامتعض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من منظرهم وخطب عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وحث على الصدقة، فجاء رجل بأول صدقة ثم جاء بعده آخر وآخر فتتابع الناس فسر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى رؤي ذلك في وجهه الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم قال هٰذا الحديث الذي لم يفهمه أهل البدع فقال: «**من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أوزارهم شيء**» الحديث هٰذا له سبب هو الذي ذكرنا، وهو أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حث على الصدقة.

فقوله: «**من سن سنة حسنة**» ما مراده؟ الصدقة وهل الصدقة مشروعة أو غير مشروعة؟ مشروعة، إذًا فليس مراد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يخترع الناس وأن يبتدعوا ويضيفوا إلى دين الله عَزَّوَجَلَّ ثم يسموا بدعتهم سنة حسنة؛ إنما مراده إحياء سنة من شرع الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن هؤلاء لما كانوا شديدي الفقر فبدأ هٰذا الرجل بالصدقة عليهم سن سنة حسنة، لا على معنى أنه اخترع الصدقة؛ لأن الصدقة مشروعة قبله، في الآيات المكية، وفي الآيات المدنية هٰذا موجود.

إذًا الصدقة ليست بدعة سميت بسنة حسنة، بل الصدقة من دين الله عَزَّوَجَلَّ، فلهٰذا من عجائب هؤلاء

الذين يستدلون على بدعهم بهٰذا الحديث أنهم يقولون: بدعتنا سنة حسنة نقول: هٰذا كلام متناقض لأنك تسمي هٰذا الذي أنت عليه بدعة حسنة، وتستدل عليها بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من سنة سنة حسنة»، أنت تعترف أنها بدعة ولا لأ؟ يقول: بدعة لكنها حسنة، النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «من سن سنة»، ولم يقل من اخترع بدعة، بل ثبت عنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنه قال: «**كل بدعة ضلالة**» وكل من الألفاظ الدالة على العموم فيدخل فيها كل بدعة إلى قيام الساعة، ولا يمكن أن يكون هناك بدعة سيئة مع قوله: «كل بدعة ضلالة»، ولهٰذا ثبت عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: «كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة»، هٰذا أثر مهم جدًا، «كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة»، أي: أن الناس قد يستحسنون بدعًا ويقولون هٰذه من قبيل الحسن يقول: حتى لو رأيتموها حسنة فإنها بدعة، فهٰذا الحديث المراد به يتضح بذكره سببه؛ لأن سبب النزول وسبب ورود الحديث له أهمية في فهم المعنى، فقوله: «من سن سنة حسنة» ليس معناه من اخترع في دين الله، تقدم أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**كل بدعة ضلالة**»، فكيف يحث على بدعة؟ معاذ الله، وتقدم أن الدين كامل في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣] فهو ليس بحاجة إلى أن يخترع أحد وأن يزيد فيه، ولهٰذا هٰذا الحديث لم يفهموه.

❍ **وهل جاء في الأدلة إطلاق السنة الحسنة على المشروع نفسه؟** نعم، خذ هٰذا الأثر الثابت عن علي بسند صحيح رواه الطيالسي رَحِمَهُ اللَّهُ وهو مهم للغاية في مراد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كلمة السنة الحسنة، ثبت عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «الوتر سنة حسنة»، بإجماع المسلمين الوتر مشروع، وهو من فعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحث عليه الأمة، فسمى علي الوتر سنة حسنة، السنة الحسنة تطلق على المشروع لا على المخترع.

وروى ابن جرير عن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: «العمرة سنة حسنة»، العمرة وهي مشروعة بنص القرآن ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦] وبإجماع المسلمين والنصوص الكثيرة، وعُمَر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأربع التي اعتمر، يقول إبراهيم: «العمرة سنة حسنة»؛ فالسنة الحسنة هي المشروعة وليست مخترعة، المخترع اسمها بدعة والبدعة ضلالة.

ولهٰذا في هٰذا الحديث أيضًا أنه ورد أنه قال: «**من دعا إلى هدى فله أجره وأجر من عمل به إلى قيام الساعة**».

❁كيف نعلم أنه هدى؟!

«دعى إلى هدى» دعى الناس، قد يكون الناس مثلا غافلين عن سنة من السنن فيحييها مثل سنة أنك إذا دخلت إلى بيتك تستاك، هٰذه سنة يقل فعلها من قبل كثير من الناس، دعوت إليها حيت في الناس لك أجرها وأجر من عمل بها إلى قيام الساعة، فأنت دعوت إلى سنة، كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما سئلت عائشة بأي شيء كان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبدأ إذا دخل بيته قالت: السواك، فقد يكون بعض المسلمين غافلًا عن السواك فتحيي هٰذه السنة، وهكذا سنن أخرى، وهكذا واجبات بعض الناس قد يكون بعض الناس غافلين عنها مثل الطمأنينة في الصلاة، إذا نبهت الناس إلى الطمأنينة فصاروا يطمئنون في صلاتهم، فانضبطت صلاتهم لك أجر صلواتهم إلى قيام الساعة وأجر من عمل بما دعوت إليه إلى قيام الساعة، هٰذا المعنى وليس المعنى اخترعوا وابتدعوا فيكون لكم الأجر، هٰذا كلام متناقض، إذًا هٰذا مراد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن من دعا إلى هدى.

وهكذا من «**من دعا إلى ضلالة**» الدعوة إلى الضلالة تارة تكون ضلالة كفرية كضلالات الليبرالية والعلمانية والاشتراكية كلها كفر، الذي يدعوا إليه يدعو إلى كفر لا شك، إذا كان يفهم؛ لأن من الناس – وهٰذه مسألة مهمة يا إخوة– هناك من الناس من يسمع سماعًا بمبدأ المبادئ فيروق له ويدعو إليه وهو لا يدري بتفاصيله، هٰذا لا يستعجل في تكفيره، الاشتراكية أول ما وردت في البلاد الإسلامية، ما وردت بوجهها القذر القبيح الموجود في بلاد الروس، وإنما وردت على أساس أنها إعطاء العمال حقوقهم والحرص على الطبقات الضعيفة، وقال: وهٰذا من الدين، لهٰذا قالوا هٰذا أصلًا من الإسلام، حتى قال بعضهم عياذًا بالله: الإسلام أصلًا اشتراكي فلا يستعجل على هٰذا حتى يفهم ما حقيقة الاشتراكية، وأنها قائمة أصلًا على الإلحاد، وهكذا مبدأ الليبرالية، كيف تعرف هٰذه المبادئ؟ يقال: أنتم كما قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنتم الصبيان المتبعون لتلاميذكم، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ للجهمية: يقول:

نقطـــتم وهـــم خطـــو علـــى نقـــط لكـــم كمعلـــم الصـــبيان

❍ **فكثير من الناس يردد كلامًا لا يدري به،** يقول نعم الليبرالية حق من الإسلام والإسلام أصلًا ليبرالي، أولًا: تعرف الليبرالية ما يمكن، تعرف رموزها، تعرف إلى أي شيء يدعون؟ لا والله، لكنه شيء جيد أي: عدم التشديد على الناس، أتدري أنها مبدأ إلحادي؟ يقول: أعوذ بالله، تراني مصليًا صائمًا كيف

أريد الإلحاد، إذا لا تدعو إلى شيء لا تدريه، اعرفها أولًا حتى تتبرأ منها، أما إذا وجد من يدعو إليها وهو يعيها ويفهمها ويدري بأبعادها فـهٰذا يدعو إلى كفر؛ وهكذا العلمانية إن العلمانية لا شك أنها تعني الإلحاد لأنها قائمة على اللادين، ولهٰذا لا تستجب إذا سمعت إنسانًا يدعو إلى أمر أعوج أو نحوه، لا تستعجل عليه كلمة علماني لأنك تقول له كافر بالضبط؛ لأن العلمانية كفر، الذي يفهم العلمانية ما هي ويعيها في المعاجم الأجنبية كفر بواح، قد عرفتها «**دائرة المعارف البريطانية**» عرفتها لما تكلمت عن الإلحاد، ما عرفتها مباشرة، عرفتها داخل في الإلحاد، فجعلت الإلحاد نوعان: نظري وعملي، وأدخلت العلمانية في العملي والعملي أخطر، بصفتها حركة اجتماعية تهدف إلى نقل اهتمام الناس من الآخرة إلى الدنيا، وهكذا المعاجم الأجنبية عرفتها بأنها اللادينية لا بمعنى دين ودنيا ولكن بمعنى المصادمة للدين؛ فلا تستعجل بإطلاق هٰذه الكلمة إلا على من يستحقها حقًا، ويقول: نعم أنا أعلم أي شيء أدعو إليه؛ لأن من الناس من يدعو إلى أمر ولا سيما الفتنة الكبيرة مثل الديمقراطية لا يدرون بمعناها ولا بحقيقتها، ويروجون لها، فإذا أخبروا بمعناها وقيل لهم: لو أن الناس قرر أكثرهم أن تباع الخمور في البلد توافق؟ يقول: أعوذ بالله ما يجوز، كيف حتى لو يوافق تسعة وتسعون في المائة منهم ما يحل، وتدري أن هٰذه الديمقراطية؟ الديمقراطية معناها حكم الشعب معناه أن الشعب يشرع، والذي يشرعه الشعب هو الحق، فإن حرم حلالًا أو حلل حرامًا فلا شأن لدين ولا لغيره لأن أصلًا الديمقراطية وجه العلمانية السياسي فلا ديمقراطية إلا في ضوء العلمانية.

❍ **ولهٰذا حتى تعرف أن هناك من لا يفهم يمدحون الديمقراطية ويلعنون العلمانية** مع أن العلمانية والديمقراطية شيء واحد، هٰذا يدل على أن في المسلمين من يردد كلامًا لا يدري به؛ فلا يستعجل عليهم حتى يفهموا ويعلموا بأن هٰذه المسائل دفعها الإعلام وروج لها وامتدحها، فجرت على كثير من الناس، وإلا فـهٰذه متاهات وضلالات، من دعا إليها وهو يعيها ويفهمها ويقول: نعم أعي أبعادها وأدري بالذين صدروها وماذا يريدون ونحن نريد أن نكون مثلهم لا شك أنه كافر؛ لكن حتى يكون فاهمًا وواعيًا، أما إذا رددها شاب أو رددها كاتب من الكتاب السذج الذين ربما ما أكمل تعليمه ما تستعجل عليه؛ لأنه لو قيل له إن من لوازمها كذا وكذا يقول لك غير صحيح، أنت لا تدري بها، تقول أنا أعلمت بها، تعالى هٰذه المعاجم الأجنبية هٰذا معناها، هؤلاء رموزها ودعاتها يقولون كذا وكذا ينفض يده في الحال ويقول أعوذ بالله أنا ما كنت أعي، أي: لماذا ترددون كلامًا لا تعونه، ولماذا ترددون مقالات وأشياء لا تفهمونها، ترددون الكفر

وأنتم لا تدرون به.

❍ **فلهٰذا في الحقيقة أن على طالب العلم ألا يستعجل؛** لأن في الناس من يردد أشياء شنيعة بشعة لا يدري بمظانها ولا سيما بسبب الإعلام؛ لأن الإعلام دائمًا يظهر الجانب الذي يراه حسنًا ويخفي البلايا، فمن دعا إلى ضلالة سواء كانت ضلالة كفرية أو بدعية؛ فإن عليه الإثم في نفسه وعليه إثم من عمل بدعوته هٰذه إلى قيام الساعة.

وعودًا إلى الموضوع، سبق وأن ذكرت عن بعض الإخوة أن بعض الإخوة الأشوام ذكروا لي أنهم من نحو خمسين سنة تقريبًا لما أتت الاشتراكية يقول: كنا اشتراكين وكانوا مع جبهة خبيثة والجبهة الشعبية في فلسطين، يرأسها أحد النصارى، يقول: والله كنا نصلي ونصوم ولا ندري بتاتًا بالاشتراكية نهائيًا، وإذا سئل أنتم اشتراكيون؟ يقولون نعم اشتراكيون نحن اشتراكيون ولا يدري ما الاشتراكية، الاشتراكية إذا فهمها ما صلى وما صام.

❍ **الاشتراكي الحقيقي الذي يفهم الاشتراكية أصلًا لا يقر بالرب حتى يصلي،** فهم يظهرون جانبًا ويدعون الشباب والأمة إلى جانب محدد من هٰذه المقولات ويخفون حقائقها، وما يسمى بفلسفتها التي قامت عليها، فيقولون نحن نريد نصرة الضعفاء المساكين والعمال هؤلاء الذين لا يعطون حقوقهم والفقراء والمستضعفين، هٰذا هو أصل دعوتهم فيطيش ناس كثيرون لهٰذا، لا يدرون أن هٰذا مؤسس على إلحاد من الأساس، وهو هٰذه الدعوات التي أتت سواء من الشرق الاشتراكية وغيرها، أو من الغرب كالليبرالية والعلمانية في سائر أصنافها، فلا يستعجل على الواحد ممن يدعو إلى هٰذا حتى يبين له.

ولهٰذا كان واجب أهل العلم كبيرًا في إظهار هٰذه الحقائق؛ لأن من الناس من يردد عبارات لا يعيها ولا يدريها ولا يدري بمضامنها فإذا -عياذًا بالله- كان قائلًا وبضلالتها فإنها إن كانت بدعة فإنه داع إلى بدعة وعليه وزرها، وإن كانت كفرًا كان داع إلى كفر صريح هو مقر به وعامل به، فيكون عليه وزر ما عمل إلى قيام الساعة، وعكسه نسأل الله الكريم من فضله إلى هدى وإلى سنة فإنه كل عامل بهٰذه السنة يكون له أجرها وأجر من عمل بها إلى قيام الساعة، وأسعد الناس بهٰذا الحديث من هم؟ هم هو أسعد الناس بهٰذا الحديث؟ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن كل هدى في الأمة فهو الذي دعا إليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكل أعمال الأمة الصالحة مكتوبة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه هو الذي دعا إليها، ومع ذلك قال

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله**» قالوا: ولا أنت؟ قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته**».

❁ **قال المؤلف: «باب ما جاء أن الله احتجر التوبة عن صاحب البدعة، هٰذا مروي من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومن مراسيل الحسن.**

وذكر ابن وضاح رَحِمَهُ اللَّهُ عن أيوب قال: كان عندنا رجل يرى رأيا فتركه فأتيت محمد بن سيرين فقلت: أشعرت أن فلانا ترك رأيه؟ قال: انظر إلى ماذا يتحول؟ إن آخر الحديث أشد عليهم من أوله: «يمرقون من الإسلام؟ ثم لا يعودون إليه»، وسئل أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ عن معنى ذلك فقال: «لا يوفق للتوبة».

هٰذا في العموم الأغلب صاحب البدعة، لما زهد في طريق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذهب إلى بُنيات الطريق عوقب أهل البدعة بعقوبة في دينهم، وهو أن هٰذا الذي ارتضوه وقدموه على الحق المبيَّن في النصوص أن الله يسلط عليهم عدم التوبة منه في العموم الأغلب؛ ولهٰذا يقل في المبتدعة أن يتوبوا.

❁ **قال المؤلف: «باب ما جاء أن الله احتجر التوبة».**

فهم ممنوعون من التوبة عقوبة لهم.

❁ **قال المؤلف: «هٰذا مروي من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومن مراسيل الحسن».**

أي: مما أرسله الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في الحقيقة أنه جاء عن عدد كثير من السلف أنهم لا يوفقون للتوبة، وأن المبتدع يظل في بدعته؛ لأنه عوقب في دينه العقوبات أنواع: إما عقوبات في الأموال، عقوبات في الأمن، وأشدها وأفظعها أن يعاقب الإنسان في دينه، فيكون آمنًا مطمئنًا يكون ريان شبعان ثريًا؛ لكن عقوبته الكبرى في دينه نعوذ بالله من ذلك.

❍ **المبتدع عوقب في دينه حيث زهد في الطريق الصحيح** وإذا أتته سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رغب عنها وذهب يبحث عن بنيات الطريق مما يخرجه الناس من زبالات أذهانهم وأفكارهم.

فلهٰذا ذكر ابن وضاح عن أيوب رَحِمَهُ اللَّهُ لما قيل لابن سيرين رَحِمَهُ اللَّهُ: أشعرت أن فلانا ترك رأيه؟ أي: ترك بدعته، قال: انظر إلى ماذا يتحول؟ يقول أنه سيترك البدعة وسيتجه إلى بدعة أخرى، وهٰذا حاصل،

ينقل أهل البدع من بدعة إلى بدعة هٰذا كثير جدًّا فيهم، إن آخر الحديث أشد عليهم من أوله، ما آخر الحديث؟ «**يمرقون من الإسلام؟ ثم لا يعودون إليه**» هٰذا ورد في الخوارج أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**» وقال فيهم أيضًا: «**يمرقون من الإسلام؟ ثم لا يعودون إليه**» **أي**: أنهم حين تركوا الهدي السليم النبوي.

❍ **والخوارج كانوا زمن الصحابة يستطيعون أن يقولوا ماذا كان يقول النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وماذا كان يفعل؟ زهدوا في هٰذا وأعجبوا بآرائهم، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنهم إذا مرضوا من الإسلام لا يعودون فيه، لا يرجعون إليه، من هٰذا الحديث أخذ بعض أهل العلم تكفير الخوارج، ومنهم الشيخ عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ ابن باز، كان يرى كفرهم، يقول لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يمرقون من الإسلام، يقول: لكن قال ثم لا يعودون فيه مما يدل على أنهم لا يرجعون بتاتًا، واستدل رَحِمَهُ اللَّهُ عليه أيضًا بحديث: «**الخوارج قتيلهم شر قتيل تحت أديم السماء**» القتلى تحت أديم السماء كثير، منهم يهود ومنهم بوذيون ومنهم نصارى، قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الخوارج: «**قتيلهم شر قتيل تحت أديم السماء**» هٰذا ليس عبثًا، فكان يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: هٰذا يدل على أن الخوارج أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يمكن أن يقول هٰذا في قتيل مسلم، يقول: كونه يقول شر قتيل تحت أديم السماء وتحت أديم السماء قتلى كثر من أهل الكفر يقول: هٰذا يدل على كفر الخوارج.

ولكن قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: إن أكثر أهل العلم على أن الخوارج مرّاق من الدين لكن لا يكفرون وهو الصحيح إن شاء الله تعالى، وهو الذي عليه أكثر أهل العلم أن الخوارج لا يصلون إلى حد الكفر؛ لكن لا شك أن ذنبهم عظيم جدًا، ولهٰذا ثبت عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنهم كلاب النار، قالوا: إنهم سموا بكلاب النار، قوله: كلاب النار، يقولون: إنه يدل على أمرين اثنين:

❍ **الأمر الأول**: أنهم في النار.

❍ **الأمر الثاني**: أنهم في موضع خسيس في النار؛ لأن الكلب يضرب به المثل دومًا في ماذا؟ في الخسة.

وهٰذه هي عقوبة من تجاوز الحد الشرعي وزعم أنه أو كأنه جعل نفسه أحرص على دين الله عَزَّوَجَلَّ من نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن صحابته، ينبغي أن يأخذ الإنسان الأمر بالمأخذ الشرعي وأن لا يحسن في رأيه الظن، وأن يتقي الله عَزَّوَجَلَّ ويلزم السنن ويصبر حيث أمر بالصبر ويقدم حيث أمر بالإقدام، ويحجب حيث أمر بالإحجاب، أما أن تكون الأمور راجعة إلى أهواء الناس، وإلى اجتهاداتهم، وإلى ما تحسن به ظنونهم

فهٰذا باب إذا فتح لا ينتهي.

إذًا في العموم الأغلب حال أهل البدعة أنهم لشدة ما أشربت قلوبهم من البدع كما تقدم في الحديث السابق «**أنهم يتجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه**» لا يدع مفصلًا ولا عرقًا إلا دخله، لشدة تغلغل البدع فيهم لا يكاد الواحد منهم، ولهٰذا جاء في بعض الروايات «لا يكاد الله يأذن لصاحب بدعة بتوبة»، لا يكاد، مما دل على أن بعضهم قد يتوب، ولا سيما من وقع في البدعة عن اجتهاد وطيبة في بعض الأحيان، فقد يتوب إذا اتضحت له الأدلة؛ لأن أصل انطلاقه للبدعة كان بحسن ظن، أي: كما عرفنا البدعة عرفها الشاطبي: طريقة في الدين مخترعة تضاهي الطريقة الشرعية، يقصد بالسلوك عليها التعبد لله، هو يريد التعبد لله فقد ي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَزَّوَجَلَّ ويمن عليه بالعود إلى السنة، ولكن في العموم الأغلب لا يعودون، قد يعود عوامهم والسذج منهم، والناس الذين دخلوا في البدعة هكذا اتباعًا لغيرهم، لكن الرؤوس الكبار في العموم الأغلب لا يرجعون، وقل أن يرجع صاحب البدعة؛ لأنها قد أشربت قلوبهم بها عياذًا بالله.

إذًا يقال إن الله تعالى قد يمن عليهم بالتوبة والرجوع للسنة، كما أن الله تعالى قد يمن على أشرار أهل الكفر من اليهود والنصارى، قد يهدي الله عَزَّوَجَلَّ منهم أناسًا وليسوا أعجب من ضلال أهل البدع؛ لكن الكلام هنا على وجه العموم والأغلب، ولهٰذا ما نقل عن أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنى كون صاحب البدعة لا يتوب قال: لا يوفق، في الغالب لا يوفق للتوبة، قد ينتقل من بدعته إلى بدعة أخرى ويتردد من بدعة إلى بدعة، لكن يعود إلى السنة هٰذا قليل في المبتدعة.

۞ قال المؤلف: «باب قول الله تعالى ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ الآية [آل عمران:٦٥] إلى قوله: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٦٧﴾ وقوله: ﴿ وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٣٠﴾ [البقرة: ١٣٠] الآيتين، وفيه حديث الخوارج وتقدم.

وفي الصحيح أنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال: «إن آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء إنما أوليائي المتقون»، وفيه أيضا عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ ذكر له أن بعض الصحابة قال: أما أنا فلا آكل اللحم، وقال الآخر: أما أنا فأقوم ولا أنام، وقال الآخر: أما أنا فلا أتزوج النساء، وقال الآخر أما أنا فأصوم الدهر فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ «لكني أُقُومُ وَأَنَامُ وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ وَآكُلُ اللَّحْمَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي

فَلَيْسَ مِنِّي»، فتأمل! إذا كان بعض أفاضل الصحابة أراد التبتل بالعبادة قيل فيه هٰذا الكلام الغليظ وسمي فعله رغوبا عن السنة فما ظنك بغير هٰذا من البدع وما ظنك بغير الصحابة؟».

الباب على قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ الآية [آل عمران: ٦٥] إلى قوله: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٦٧﴾ أي إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ﴿ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٦٧﴾ الرغبة والزهد، الرغبة عن الحق والزهد فيه كالرغبة عن ملة إبراهيم لا يفعلها إلا السفيه، وهكذا من تبينت له سنة محمد بن عبد الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ الذي كان يقول: «**ألا إن الهدي خير الهدي هدي رسول الله**» خير الهدي على الإطلاق هو هدي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، فمن ترك الهدي الذي هو خير الهدي واتجه إلى البدع والمحدثات فقد رغب عن الحق، وصح أنه سفه نفسه، كمن رغب عن ملة إبراهيم.

ثم ذكر أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن آل أبي فلان** -من أقاربه- **ليسوا لي بأولياء إنما أوليائي المتقون**» **أي**: أن القرابة وحدها لا تكفي، والعبرة هي بتقوى الله، فإذا وجدت التقوى عند قريب للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أو عند غيره فإن هٰذا هو ولي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

ثم ذكر قصة الثلاثة -وهي مشهورة- أن ثلاثة من خيار الصحابة رضي الله عنهم اجتهدوا وأرادوا الخير فأتوا وسألوا عن عبادة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ فكأنهم تقالوها، كأنهم قالوا قليلة، وهٰذا لا شك أنه غلط منهم رضي الله عنهم، لأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ يقول له الله تعالى: ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ٣﴾ [المزمل] فكان يقوم نصف الليل صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، ما معنى قيام نصف الليل؟ أي: أنه يكون في مثل هٰذا الوقت الذي نحن فيه نحو الساعة الحادية عشر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ يصلي إلى الفجر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وهٰذا شيء طويل جدًّا، فإذا صلى العشاء كان في العموم الأغلب من هديه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ إذا صلى العشاء أن ينام، إلا أن يكون في أمر من أمور المسلمين، فيصلي فينام إلى قرب انتصاف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل كما أمره الله ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ٤﴾ [المزمل] فكأنهم تقالوها، أي: كأنهم شيء من النشاط يريدون ما هو أكثر في القيام وفي الصيام، فكل واحد منهم تعهد بأمر، أحدهم قال: أنا لا آكل اللحم أي: من باب الزهد، والآخر قال: أما أنا فأقوم -يعني الليل- ولا أنام، معنى أنه سيصلي العشاء

ويستمر قائمًا إلى الفجر، وقال الآخر: أما أنا فلا أتزوج النساء؛ لأنها أي: شهوة من شهوات الدنيا، وقال الآخر: أما أنا فأصوم الدهر النبي ﷺ ما قال أحسنتم أنا أقوم نصف الليل وأنت تقوم كل الليل هٰذا يدل على أن عندك همة، سمى هٰذا رغبة عن السنة فأتاهم، وقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ قالوا: نعم هم ما أرادوا إلا الخير ﷺ ثم هم خيار صلحاء، لما قال لهم النبي ﷺ ماذا فعلوا: قالوا سنقوم الليل حاشا، كفوا كان اجتهادًا أرادوهم فلما أخبرهم ﷺ أن هٰذا خطأ رجعوا عنه ﷺ، فقال: أما أنا، أي: وأنا موضع القدوة، وأنا الذي جعلني الله تعالى محل الأسوة فقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[الأحزاب: ٢١] فاسمعوا هديي «**لكني أنا أنام وأقوم**» كان ينام بعد العشاء ﷺ ويقوم عند انتصاف الليل، ولا أصوم دائمًا بل «**وأصوم وأفطر**» ونهى ﷺ عن صيام الأبد، فقال: «**لا صام من صام الأبد**» لا صام ولا أفطر، نهى أن يسرد الإنسان الصوم دائمًا، أصوم وأفطر هٰذا هو الهدي السوي، وأما أنت يا من ذكرت أي: أنك لا تريد زواج النساء «**وأتزوج النساء**» بل قال ﷺ: «**حبب إلي من دنياكم الطيب والنساء**» والذي قال: لا آكل اللحم، قال: «**وآكل اللحم**» ثم قال: «**فمن رغب عن سنتي فليس مني**».

الله أكبر!! هؤلاء الأخيار ﷺ ما قالوا سنأتي بأقوال فلاسفة اليونان، ولا بأوضاع ملاحدة الشرق والغرب، قالوا واحد منهم هٰذه الصلاة التي يصليها النبي ﷺ أنا سأصلي على هديه لكن سأزيد، وهٰذا الصوم الذي يصومه الرسول ﷺ سأزيد فيه، والآخر قال: أنا سأزهد ونحن مدعوون إلى الزهد، قال سيبلغ زهدي أن أزهد فيما زهدت فيه شرعًا لكن سأترك النساء فلا أتزوجن وأترك اللحم، سمى النبي ﷺ فعلهم هٰذا رغبة عن السنة، إذًا الذي يستقدم ما عند الغرب والشرق الذين يستقدم من المعتزلة وأضرابهم ضلالات فلاسفة اليونان ماذا يقول النبي ﷺ؟ قد رغبوا عن أعظم ما في الدين وهو العقيدة.

قال المؤلف: «تأمل!! إذا كان بعض أفاضل الصحابة لما أراد التبتل للعبادة».

لما فعلوا هٰذا ماذا يريدون التبتل لانقطاع العبادة، يقول بدل ما أنام نصف الليل ويضيع علي نصف الليل في النوم، لماذا لا أقوم الليل كله؟ كان مراه أن ينقطع للعبادة، وما اخترع عبادة وما ابتدع لكن نفس عبادة النبي ﷺ ولكن سيزيد فيها فقط على نفس هديه، قال: لما أراد التبتل للعبادة قال

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هٰذا الكلام الغليظ أي: قوله: «**فمن رغب عن سنتي فليس مني**»، شديد جدًّا، وسمي فعلهم رغبة عن السنة، فما ظنك بغير هٰذا من البدع كما ذكرنا قبل قليل من بدع فلاسفة اليونان أو غيره، أو خرافات الصوفية وخزعبلاتهم التي أتوا بها من بلاد الهند؛ لأن كثيرًا مما عند الصوفية هو مأخوذ من عبادات الهنود في وقطعًا الهنود وثنيون مثل طريقة كتم النفس يكتم الواحد منهم نفسه لمدة، لماذا تفعل هٰذا بنفسك؟ يقول أروض نفسي، يجلس فترة طويلة جدًّا لا يأكل حتى إن بعضهم يتأثر عقله، ويصابون بمرض يسمى المانخوليا من شدة الجوع، لماذا تفعل هٰذا بنفسك والله عَزَّوَجَلَّ قد أعطاك؟! قال: أروض نفسي، تروض نفسك على هدي ملاحدة الهند، إذا أردت أن تطهر نفسك وتزكيها فانهج نهج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فـهٰذا متعلق بما عند الهنود، وذاك متعلق بما عند البوذيين، وهٰذا متعلق بما عند الغربيين، وذاك متعلق بما عند الشرقيين، وهٰذا متعلق بما عند فلاسفة اليونان، رغبوا عن السنة، ماذا سيقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيهم؟ لا شك أنه سيقول فيهم قولًا أغلظ من هٰذا، وأشد يقول: فما ظنك بغير هٰذا من البدع وما ظنك بغير الصحابة؟ الصحابي له موقع وله قدر، ومع ذلك قال النبي هٰذا الكلام الغليظ، فكيف بمن قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**»، ثم قال: «**ثم يأتي قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته، ثم يفشوا الكذب**» إذًا أخبر أن الأمور ستتغير بعده، إذا هم من باب أولى أن يغلظ عليهم وأن يزجروا.

قال المؤلف: «باب قول الله تعالى ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾

قول الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم].

وقوله تعالى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ [البقرة: ١٣٢] الآية، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ الآية [النحل: ١٢٣].

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ وُلاةً مِنَ النَّبِيِّينَ وَإِنَّ وَلِيِّي مِنْهُمْ أَبِي إِبْرَاهِيم وَخَلِيلُ رَبِّي» ثُمَّ قَرَأَ: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ» رواه الترمذي.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : «إِنَّ اللهَ لا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَامِكُم وَلاَ إِلَى أَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ».

ولهما عن ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، ولَيُرْفَعَنَّ إِلَيَّ رِجَالٌ مِنْ أُمَّتِي حَتَّى إِذَا أَهْوَيْتُ لأُنَاوِلَهُمْ اخْتُلِجُوا دُونِي فَأَقُولُ: أَيْ رَبِّ! أَصْحَابِي! فيُقَالُ: إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ».

ولهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا» قَالُوا: أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ» قَالوا: فكَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ رَجُلاً لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرانيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ أَلا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟»، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرّاً مُحَجَّلِينَ مِنْ الْوُضُوءِ وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ، أَلا لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ، أُنَادِيهِمْ أَلا هَلُمَّ فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا».

هٰذا الباب معقود على قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ تقدم بيان معنى الحنيف وأنه المائل عن الباطل، وقول الله تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠] الله عَزَّوَجَلَّ فطر الخلائق على الحق، كما في الحديث: «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة**» وفي لفظ: «**على هٰذه الملة**».

وذكر قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ [البقرة: ١٣٢] هٰذا الذي وصى به، هكذا وصايا الأنبياء، ووصايا أهل الحق أن يوصوا بلزوم الخير وبلزوم الحق: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة].

ثم قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ الآية [النحل:١٢٣] وتقدم الكلام على ملة إبراهيم فيما مضى.

قال المؤلف: «وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن لكل نبي ولاة من النبيين، وأنا وليي منهم أبي إبراهيم وخليل ربي».

إبراهيم عليه الصلاة والسلام: هو أبو نبينا صلوات الله وسلامهم عليهم وعلى سائر الأنبياء والمرسلين؛ فلكل نبي ولاة من النبيين، وجاء عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**أنا أولى الناس بعيسى بن مريم إنه لا نبي بيني وبينه**» ليس بعد عيسى إلا محمد صلوات الله وسلامه عليهم، وإن ولي منهم أبي إبراهيم وخليل رب العالمين، ثم قرأ: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [آل عمران] فأولى الناس بإبراهيم أتباعه، ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهٰذه الأمة أولى بإبراهيم.

ثم ذكر حديثًا عن النبي: «**بدأ الإسلام غريبًا**» أي: أنه بدأ في مكة في محيط كان أهلها كفار، فكانت بدايات الإسلام غربة، وما بدأ الإسلام في أوله إلا بإيمان خديجة وإيمان أبي بكر وإيمان زيد، وإيمان علي رضي الله عنهم فكانوا غرباء في مجموع كافر، ثم بدأ الخير يعم وأسلم عدد من الصحابة ثم هاجر النبي صلى الله عليه وسلم وقوي الإسلام.

فبداية الإسلام غريبة وسيعود غريبًا كما بدأ، وهٰذه سنة الله تعالى، وهٰذا تلاحظه في أحوال وأمور والله المستعان.

انظر الآن الغربة، هٰذه غربة الإسلام تتفاوت، تارة في أزمنة، وتارة في أمكنة، ففي أزمنة تشتد الغربة جدًّا حتى لا يوجد قائم بالحق إلا عدد قليل؛ لأن الله جعل طائفة في هٰذه الأمة على الحق ولله الحمد، لا يزالون قائمين به، لكن حولهم أعداد غفيرة من الناس على الباطل، وتكون الغربة أيضًا في مكان دون مكان.

فمثل هٰذه البلاد -بلاد التوحيد ولله الحمد والسنة- ومنع كثير من المنكرات الموجودة في أنحاء العالم يوجد فيها من الخير شيء كثير لا يوجد في بلدان أخرى، فتكون الغربة في مكان دون مكان، وتكون في زمان دون زمان، وحتى مثل وضعنا الذي نحن فيه مع أن الخير كثير، والسنة -ولله الحمد- ظاهرة وقوية، وأهل الباطل في أحيان كثيرة ولله المنة والفضل مقموعون مخذولون؛ لكن توجد غربة في الناس تريد أن تعرفها صلي الفجر، هٰذا نوع غربة في موضع تنتشر فيه السنة، ولا سيما صلاة الفجر في الصيف، الذي يقع هو غربة الحقيقة، البيوت مليئة بالناس، والحارات مزدحمة بالسيارات ما تقول الناس يمكن

أنهم مسافرون، لو لم يصلي مثلًا معك أحد في صلاة المغرب تقول أنه خارج بيته؛ لكن الآن السيارات مزدحمة، ومن أعظم وأعجب أنواع الغربة أن في أهل الدين عددًا لا يصلون الفجر.

وهٰذه من العجائب والغرائب التي لا يعرف الإنسان لها مثل؛ لأن المعتاد أن صاحب الدين يعي أن الصلاة أعظم شيء؛ ولهٰذا قد يمضي من عمره أربع خمس ست سبع عشر سنوات ما فاتته الفجر، ما هو غريب إما لمرض أو أن يندر أن يقع منه من آثار سفر أتى من سفر أو من نحوه فيغلب وهٰذا لا إشكال فيه؛ لأنه كما في الحديث ليس في النوم تفريط، على هٰذا الوضع ليس فيه تفريط، إنما التفريط في أناس من أهل الخير والدين يمضون أوقاتًا طويلة متطاولة في الليل يعبثون ويمرحون ويلعبون ويأتي وقت النزول الإلهي وهم في هٰذا المرح والضحك واللعب بقي ساعة على الأذان ذهبوا وناموا ولم يفيقوا إلا الضحى.

❍ أليس هٰذا من الغربة؟!

غربة عجيبة جدًّا لا يعرف الإنسان لها معنى؛ فالغربة تشتد وتعظم في بعض المسائل حتى والعياذ بالله تصل إلى حد التوحيد، فينتشر الشرك فلا تجد قائمًا بالتوحيد في بعض المواضع إلا قلة مستضعفة هٰذه غربة عظيمة جدًّا وفي أعظم باب وهو باب الاعتقاد، وتكون غربة أيضًا في حال الآن من أحوال كثير من الناس.

من نماذج الغربة الموجودة الآن؛ سهولة أخذ الدين عن من هب ودب بكل سهولة، يقول والله يتعجب الإنسان غاية العجب، أناس متخصصون في الهندسة وفي الطب وفي الزراعة وفي الفلك، وفي الكمبيوتر ثم يقتحمون مسائل الشرع ويخوضون فيها، ويطيعهم أفواج هائلة عديدة من الناس، القول قول فلان تريد أن تعرف فلانًا هٰذا أعطه مصحف وقل له اقرأ، والله لا يحسن بعضهم أن يقرأ كيف تطيعون هؤلاء يا عباد الله؟ أناس لم يجثوا بتاتًا بالركب مع العلماء ولا يدرونها ولا يعونها، ولو قرأ الواحد منهم القرآن لرد عليه صبي من طلاب تحفيظ القرآن في العاشرة، ثم يقتحمون مسائل عجيبة من الشرع، هٰذا تسريب وفوضى، ولو أن أحدًا من أهل العلم الشرعي قال: إن الواحد لو أخذ كذا وكذا، وعمل على هٰذا الماء جرعة من نوع من النباتات وكذا أو من كذا وكذا لكان مناسبًا لعلاج السكر صاحت الدنيا كلها، كيف تخوض فيما لا تعلم، أنت تخصصك الشريعة، تخوض في الطب تعرض حياة الناس للخطر.

فيا لله العجب!! لماذا يخاض في الدين من قبل من هب ودب؟! غربة، لولا الغربة ما وجد هٰذا، لهٰذا

علي ﷺ لما جاء رجل وصار يتكلم ويعظ في المسجد قال له: عرفت الناسخ من المنسوخ؟ هٰذه علامة من علامات العلم، قال: لا، قال: اخرج لا تعظ في مساجدنا، فـهٰذه من نماذج الغربة أن يقتحم على الدين وعلى العلم من لا يعيه ولا يفهمه، فهٰذه من الغربة العظيمة التي حلت.

❁ إذًا الغربة أنواع:

مرة تكون غربة عامة وشديدة وهائلة، غربة كبيرة أي: شديدة الوقع من جهة كونها في التوحيد نسأل الله العافية والسلامة، حتى تجد ملايين يأتون إلى مواضع المزارات والشرك الأكبر البواح ويقولون نحن نتقرب إلى الله بـهٰذه الشركيات، هٰذه غربة عظيمة جدًا، فلهٰذا نحن نحرض دائمًا الذين عندهم سنة في بلد يحفظونها، والمنكرات الموجودة عنده يدرؤونها بالأسلوب الشرعي ليحافظوا على المكتسبات الشرعية العظيمة الموجودة عندهم، حتى تبقى السنة والمنكرات تنكر بالأسلوب الشرعي، كما كان الصحابة ينكرون زمن بني أمية ويحافظون على الكيان نفسه على الجماعة؛ حتى لا ينفرط العقد؛ لأنه إذا انفرط العقد في مجتمع سني مثل هٰذا ما دخلت عليك المنكرات دخل عليك الشرك الأكبر.

❍ **من الأشياء المعلومة مثلًا في مجتمعنا ولله الحمد أن الشرك الأكبر لا يجهر به،** ولا يستطيع أحدًا أن يضع مزارًا ويطوف به كان موجودًا ولله الحمد ثم هدمت بداية هٰذه الدولة، المنشور في المدارس، في الإعلام من زاوية دينية من زاوية أي: تتبناها الوجهة الرسمية هو مذهب أهل السنة والجماعة، هٰذا مكتسب لنا نحافظ عليه والأشياء الضالة الزائغة والمنكرات ندرؤها ونبقي على هٰذا المكتسب، الأحمق هو من يريد يدمر البلاد بأسرها كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ﴾ [الحشر: ٢] يقولون في منكر كذا، وفي منكر كذا، كانت المنكرات موجودة حتى زمن بني أمية، كان الصحابة موجودين وهم أغير منك، لكنهم كانوا ﷺ أهل فقه، يحفظون المكتسب العظيم بوجود جماعة، ووجود كثير جدًّا من أحكام الشريعة ثابتة ووجود الاعتقاد الكبير، ووجود الاتجاه العام في المحاكم على تطبيق الشرع على هٰذا النحو يحفظ هٰذا المكتسب، وإلا جاءتك غربة أضعاف أضعاف ما ترى، هٰذا هو الوضع السوي ونحن في أمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر في دعوتنا إلى الله، في جهادنا، في دعائنا، في صلاتنا، في عبادتنا يجب أن ننهج النهج الشرعي، ومن ذلك إنكار المنكرات.

❍ **ومن المنكرات:** منكرات لن تزول، ينبغي أن يعلم هٰذا الإنسان منكرات لن تزول لكنها قد تخف، وقد لا تخف فيكون عمل الداعي إلى الله والعالم والحريص على الدين أمر إقامة الحجة واستمرار الأمر، وعدم الرضوخ، استمر في إنكار المنكر، ما دام المنكر ينكر فالناس بخير، الإشكال إذا لم ينكر المنكر، وبالأسلوب الشرعي المقصود أن ينكر بالأسلوب الشرعي، فالعاقل السوي من يحفظ هٰذه المكتسبات حتى لا يأتي غربة أشد وأحلك وينشر في الأمة خطر الجرأة على الأحكام الشرعية، وخطر الرغبة عن منهج أهل السنة وينشر الخير على هٰذا النحو.

فالحاصل أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أخبر بهٰذه الأحوال بيانًا للزوم هديه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والاستمرار على ما كان عليه إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في قول المصنف هنا في التبويب: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠] ما الذي كان عليه إبراهيم؟ حنيفًا مسلمًا، وما كان من المشركين ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ﴾ [النحل: ١٢٠] وكان مطيعًا لله عَزَّوَجَلَّ في سائر ما يأتي بيانه.

ثم ذكر حديث في صحيح مسلم، قوله هنا: وله عنه دائمًا يرجع إلى ما قبله، يقول رواه مسلم وله عنه، أي ولمسلم عن أبي هريرة، هٰذا المقصود، أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**» العبرة عند رب العالمين ليست بكثرة الأموال، ولا بحسن الأجسام ولكن العبرة بالقلوب الحية والأعمال المستقيمة على السنة، هٰذا هو موضع نظر رب العالمين.

❁ **قال المؤلف: «ولهما».**

من يقصد؟!

الشيخين البخاري ومسلم رحمهما الله.

❁ **قال المؤلف: «ولهما عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أنا فرطكم على الحوض».**

الحوض: هو مجمع الماء، وهو الذي يكون في القيامة، إذا وراد الناس عطاشًا يكون للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حوض عظيم طوله شهر وعرضه شهر، ترده هٰذه الأمة الموفق الذي أعطاه الله تعالى السلامة يرد الحوض ويشرب منه، فإذا شرب لم يظمأ بعد ذلك أبدا.

❁ **قال المؤلف:** «أنا فرطكم».

من هو الفرط؟ الفرط هو الذي يسبق القوم ويجهز لهم الدلاء التي ينتزع بها مثلا الماء والرشا، الفرط هو الذي يتقدم القوم.

❁ **قال المؤلف:** «**أنا فرطكم على الحوض، وليرفعن إلي رجال من أمتي حتى إذا أهويت لأناولهم**».

أي: من الحوض.

❁ **قال المؤلف:** «اختلجوا دوني».

أي: أنهم والعياذ بالله يجتلبون فلا يمكنون من الشرب.

❁ **قال المؤلف:** «فأقول: أي رب أصحابي».

أي: أصحابي هؤلاء؛ لماذا قال أصحابي؟ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما توفي كان ظاهر بعض الذين أتوه عام تسع في سنة الوفود كان ظاهرهم هو الإسلام، والذي يسلم زمن النبي ماذا يكون اسمه؟ يكون اسمه الصحابي، أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فمات وهو يتذكر أن هؤلاء أتوا إليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأسلموا فقال أصحابي، ولهٰذا في اللفظ الآخر أنه يقول: «من أمتي ومني» أي: يتذكر أنهم كانوا من المؤمنين.

❁ **قال المؤلف:** «فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك».

ماذا أحدثوا؟ أن ارتدوا، فلما ارتدوا قاتلهم الصحابة الثابتون رضي الله عنهم الذين لهم الصحبة.

لهذا الصحيح في معنى الصحابي: أنه من لقي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤمنًا به ومات على ذلك، أما إذا ارتد لا يكون صحابيا، النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما مات كان الظاهر منهم هو الإسلام فقال: أصحابي، فلهٰذا قال أصحابي بناء على استصحاب الأصل، أي: كأنه يقول هؤلاء مسلمون، مثل ما في الرواية الأخرى: «**مني ومن أمتي**» أي من هٰذه الأمة لماذا يمنعون عن الحوض؟!

في اللفظ الآخر أنه قال في حديث أبي هريرة «**وددت أنا قد رأينا إخواننا**» قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ **قال:** «**أنتم أصحابي**» وهٰذا دليل للقول الراجح القول الصحيح، والقول الذي سواه باطل أن

الصحابي هو من لقي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤمنًا ومات على ذلك، فلما قالوا: أولسنا إخوانك؟ قال أنتم في منزلة أعلى من أن تكون مجرد إخوة جمعني بكم الإسلام؛ لأن إخوة الإسلام هٰذه ثابتة لكل المسلمين.

❁ **قال المؤلف:** «أنتم أصحابي وإخواننا هم الذين لم يأتوا بعد».

أي: الذين سيسلمون بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يلقهم، فدل على أن الصحابي له مزية، أنه ليس الجامع له بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مجرد الإيمان فقط بل له فضل الصحبة، وهو فضل لا يدركه أحد بعدهم، قالوا: فكيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك؟ **قال**: «**أرأيتم لو أن رجلًا له خيل غر**» **الغرة**: بياض في الرأس غر محجلة، المحجلة أيضًا بياض في الأرجل، فهم بيض الوجوه والأرجل والأيدي أيضًا، من آثار ماذا؟ من آثار الوضوء الذي تغسل به وجهك، وتغسل به يديك، وتغسل رجليك يكون من آثاره في القيامة أن تكون هٰذه نورًا نسأل الله الكريم من فضله في وجه المؤمن وفي يديه وفي رجليه، فيعرف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته من هٰذا قال: «**لو أن رجلًا له خيل غر محجلة بين ظهراني خيل دهم بهم**» **الدهم**: هي السود التي لم يخالطها في لونها أي لون، بهم خالصة، «**ألا يعرف خيله؟**» يقول: لو أن رجلًا له خيل على ما وصف غر محجلة فيها بياض في وجهها وفيها بياض في أيديها وأرجلها، لو أنها كانت مع خيول دهم سود خالصة ليس فيها أي لون سوى الأسود، ألا يعرف خيله؟ قالوا: بلى قال: «**فإنهم يأتون غرًا محجلين من الوضوء وأنا فرطهم على الحوض، ألا ليذادن**» لأن هناك أناس نسأل الله العافية يمنعون من ورود الحوض «**ألا ليذادن رجال يوم القيامة عن حوضي كما يذاد البعير الضال**» لأن الضال من البعير يطرده صاحب الإبل لأنه ليس له أن يلتقطه فيبعده وربما ضربه ضربًا شديدًا بالعصا حتى يبعد ولا يدخل في محيط إبله، «**أناديهم ألا هلم فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك فأقول: سحقا سحقا**» وفي اللفظ الآخر «**سحقًا سحقًا لمن بدل بعدي**».

❁ **قال المؤلف:** «وللبخاري: «بَيْنَما أَنَا قَائِمٌ إِذَا زُمْرَةٌ حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ فَقَالَ هَلُمَّ فَقُلْتُ أَيْنَ قَالَ إِلَى النَّارِ وَاللهِ قُلْتُ وَمَا شَأْنُهُمْ قَالَ إِنَّهمْ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمْ الْقَهْقَرَى ثُمَّ إِذَا زُمْرَةٌ –فذكر مثله– قال: فَلا أُرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلا مِثْلُ هَمَلِ النَّعَمِ».

هٰذا من كثرة عياذًا بالله الذين يذادون الذين ارتدوا كثر، وارتدت كثير من قبائل العرب وأقام الله من فضل ومنته وحفظه، وهٰذا من حفظ الله للدين، أقام الله الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأصر على قتالهم وعدم ترك الردة؛

لأنه لا يمكن أن تقاتل وأن تنشر الإسلام في أرجاء الأرض وعندك الجزيرة العربية قد ارتدت فقاتلهم ﷺ وصبر على قتالهم وصبر الصحابة ﷺ حتى قتل في موقعة اليمامة في قتال مسيلمة خمسمائة من القراء فقط، غير القراء قتل آخرون، لكن عدد القتلى من القراء فقط الذين هم قراء القرآن قتل خمسمائة، فضلًا عن غيرهم من الصحابة، فقاتلوهم وصبروا ﷺ وأرضاهم حتى عادت جزيرة العرب -ولله الحمد- جزيرة سليمة وصارت في عصر أبي بكر ﷺ، لم يمت ﷺ إلا وقد انتهت الردة تمامًا في زمنه، ثم تفرغ ﷺ لبدايات القتال في بلاد فارس الروم، ثم لم يمكث إلا قليلًا فتوفي وأتم بعده عمر ﷺ.

فيرى زمرة يعرفهم كما قلنا يعرفهم لأنهم أتوا زمن النبي ﷺ وأظهروا الإسلام فخرج رجل بينه وبينهم فقال -عياذًا بالله-: «**هلم، فقلت: إلى أين؟ قال: إلى النار والله** -يعني سيذهب بهم إلى النار- **قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك**» وهٰذا في المرتدين كما قلنا.

❁ **قال المؤلف:** «ولهما في حديث ابن عباس ﷺ: «**فأقول كما قال العبد الصالح**»: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ الآية [المائدة: ١١٧]».

العبد الصالح يقصد به عيسى عليه السلام، كما قال الله: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ [المائدة] إلى قوله: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾، فالنبي ﷺ استصحب الأصل الذي يعلمه منهم أن الظاهر منهم هو الإسلام، فكونهم ارتدوا عياذًا بالله فإن هٰذا أمرًا أحدثوه.

❁ **قال المؤلف:** «**ولهما عنه مرفوعا: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟ حَتَّى تَكُونُوا أَنْتُمْ تَجْدَعُونَهَا» ثم قرأ أبو هريرة ﷺ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ﴾ الآية [الروم: ٣٠] متفق عليه.**

وعن حُذَيْفَةَ ﷺ قال: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنْ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الْخَيْرِ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ وَفِيهِ دَخَنٌ»، قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ:

«قَوْمٌ يستنون بغير سنتي و يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ»، قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ! فِتْنَةٌ عَمْيَاْء، وَدُعَاةٌ على أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ صِفْهُمْ لَنَا، فَقَالَ: «قومٌ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا»، قُلْتُ يا رسول الله: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذلِكَ؟ ، قَالَ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ»، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلا إِمَامٌ؟ قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ على أَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ». أخرجاه. وزاد مسلم: ثُمَّ مَاذَا؟ ، قَالَ: (ثُمَّ يَخْرُجُ الدَّجَّالُ مَعَهُ نَهْرٌ وَنَارٌ فَمَنْ وَقَعَ فِي نَارِهِ وَجَبَ أَجْرُهُ وَحُطَّ وِزْرُهُ وَمَنْ وَقَعَ فِي نَهْرِهِ وَجَبَ وِزْرُهُ وَحُطَّ أَجْرُهُ)، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَاذَا؟، قَالَ: (ثُمَّ هِيَ قِيَامُ السَّاعَةِ).

وقال أبو العالية: «تعلموا الإسلام فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه وعليكم بالصراط المستقيم فإنه الإسلام، ولا تنحرفوا عن الصراط يميناً ولا شمالاً، وعليكم بسُنة نبيكم وإياكم وهذه الأهواء». انتهى.

تأمل كلام أبي العالية –رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى – هذا، ما أجله وأعرف زمانه الذي يحذر فيه من الأهواء التي من اتبعها فقد رغب عن الإسلام، وتفسير الإسلام بالسُنة، وخوفه على أعلام التابعين وعلمائهم من الخروج عن السُنة والكتاب، يتبين لك معنى قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ﴾ [البقرة: ١٣١]. وقوله: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٢] وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾، وأشباه هذه الأصول الكبار التي هي أصل الأصول والناس عنها في غفلة وبمعرفتها يتبين معنى الأحاديث في هذا الباب وأمثالها، وأما الإنسان الذي يقرأها وأشباهها وهو آمن مطمئن أنها لا تناله ويظنها في قوم كانوا فبادوا. ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف:٩٩].

وعَنْ ابن مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطًّا ثُمَّ قَالَ: (هَذَا سَبِيلُ اللهِ)، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ قَالَ: (هَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ)، ثُمَّ تَلا: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. رواه أحمد والنسائي».

قال المؤلف: «لهما».

أي: للشيخين مرفوعًا إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما من مولود يولد إلا على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**»، المولود سواء كان أبوه مسلمًا أو كافرًا فإنه مولود على فطرة سوية، ما الذي يحدث؟ يحدث أن يغيره والداه لاحقًا فإن كان يهوديين جعلاه يهوديًا، وإن كانا مجوسيين جعلاه مجوسيًا، وإن كانا نصرانيين جعلاه نصرانيًا، وإلا فهو على فطرة سوية، ولهٰذا لم يجوز قتل الصبيان ولا يقتل الصبيان إلا الخوارج، كما كتب نجدة إلى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في أمر قتل الصبيان، فقال ابن عباس: لولا أن أرده عن نتن لدعوته وما أجبته، أي: نجدة كان يستحل قتل الصبيان، ثم قال: إن علمت من الصبيان ما علمه الخضر من الغلام فاقتله، الخضر أوحي إليه لأنه نبي على الصحيح أن الغلام ذاك طبع كافرًا، قال: إن كنت تعلم الغيب وأوحي إليك مثل الخضر فاقتله، معناه أنه ما يجوز قتله، ثم بيّن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك التغيير بقوله: «**كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء**» تنتج هٰذا ليس فعل مبني للمجهول، فـهٰذا هو الظاهر تنتج أي: تنتجع جمعاء مجتمعة، آذانها مجتمعة، أنفها مجتمعة، «**هل تحسون فيها من جدعاء؟**» المقطوعة ماذا يفعلون؟ يقطعون أذنها أو يقطعون بعض أعضائها هٰذا النبي هي تنتج كذلك تولد على فطرة سوية، حتى تغير فطرته كالبهيمة التي تنتج جمعاء فتجدع بعد ذلك ثم قرأ أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ الآية [الروم: ٣٠].

ثم ذكر هٰذا الحديث العظيم من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان يسأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الشر مخافة أن يقع فيه، فقال للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بـهٰذا الخير أي: هو الإسلام، فهل بعد هٰذا الخير من شر؟ أو المعنى أو سيتمر الخير إلى قيام الساعة قال: «**نعم**» أي: سيعقب هٰذا الخير شر وتغير، فقلت: وهل بعد هٰذا الشر أي: الذي سيكون من خير؟ قال: «**نعم وفيه دخن**»، أي: متكدر ليس خالصًا، قلت: وما دخنه؟ قال: «**قوم يستنون بغير سنتي ويهدون بغير هديي**» ويقصد بهم الحكام الذين غيروا من هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وغيروا من سنته، «**تعرف منهم وتنكر**» هٰذا النوع الأول من الحكام يجيء منه خير، ويجيء منه شر، تعرف منه أشياء طيبة وتنكر منه أشياء سيئة، فقلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «**نعم فتنة عمياء ودعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها**»، ويقصد بهم أيضًا الحكام، أن هناك حكامًا يبلغ بهم الشر أن يدعوا الناس إلى جهنم، فمن أجاب هؤلاء الحكام جاراهم على

باطلهم قذفوه في جهنم وبئس المصير، لما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هٰذا أراد أن يبين هؤلاء الحكام من هم، قلت: يا رسول الله صفهم لنا، أي: حدد لنا أوصاف هؤلاء الحكام، قال: «**قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا**» وهٰذا وجه الخطورة، أنهم منك ليس أجانب عنك بل منك يتكلمون بلسانك ومن جلدتك.

❍ **تأمل يا طالب العلم!!** هٰذا الموقف العظيم في مثل هٰذا الحال، حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما حدثه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنوع من الحكام على هٰذا الحد من الخبث والشر والسوء، قال: فما تأمرني إن أدركت ذلك، أي: هل أقاتلهم، هل أعتزل وأذهب إلى البرية وحدي ماذا أفعل؟!

الحكام على هٰذا الحد يدعون الناس إلى جهنم، قطعًا إذا دعوك إلى جهنم ما الوضع الشرعي؟ لا تجيبهم ولا تجاملهم ولا تطعهم هٰذا المعنى، ولهٰذا لا يطاعون إلا في المعروف فإذا أمروك بمعصية لا يطاعون، انظر ماذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هؤلاء الحكام الذين يدعون إلى جهنم قال: «**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**»، حتى لو كان إمامهم بهٰذا الوضع، يدعوا إلى جهنم، لماذا؟ حفظًا للجماعة؛ حتى لا تنخرم الجماعة، وإن كان إمامها والقائم عليها بهٰذا المستوى من الشر الشديد، قال: فإن لم يكن جماعة ولا إمام؟ بحيث تكون المسألة فوضى، قال: «**فاعتزل تلك الفرق كلها**» قوله: فاعتزل تلك الفرق في جواب قوله فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام.

❍ **تعريف الجماعة وتعريف للفرقة،** من هي الجماعة التي فيها حاكم، ولها جمع يقوم عليها، ولها جماعة من المسلمين وفيهم حاكم قد يكون حاكمًا ظالمًا باطشًا فاجرًا فيطاع في المعروف؛ يحج معه، ويصلى خلفه كما صلى الصحابة خلف الحجاج مع بطشه وإجرامه وشهادة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه مبير كما في الحديث الصحيح، ومع ذلك يصلون خلفه، حتى لا ينخرم عقد الجماعة، وإن كان في الحاكم ما كان، فلهٰذا نص العلماء على أنه يحج معهم ويصلى خلفهم الجمعة والأعياد بررة كانوا أو فجارًا، حتى لو كان فاجرًا، ومن أعظم الفجور الدم قتل النفس من أعظم الذنوب، ومع ذلك يصلى خلفهم حتى يبقى للمسلمين جماعة.

قال حذيفة: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ماذا يكون الحال؟ يكون حال فرقة، قال: «**فاعتزل تلك الفرق كلها**» فصاروا يختصمون فيما بين، هٰذه مجموعة عليها شخص يقول أنا الحاكم ربما سمى نفسه بأمير المؤمنين، وربما سمى نفسه بالإمام، وربما إذا كانوا بهٰذا الوضع اعتزلهم جميعًا ولا تكن مع

هؤلاء ولا مع هؤلاء، «**ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يأتيك الموت وأنت على ذلك**». أي: حتى لو مت وأنت منفرد عنهم جميعًا، أما إذا وجدت جماعة فحتى لو كان الوالي ظالما ولهٰذا روى مسلم أنه يطاع وإن ضرب ظهر وأخذ مالك، وهٰذه مسألة لم يفهمها بعض الناس، نعم قد يتسلط عليك السلطة الشخصية فيضرب حيث لا تستحق الضرب، ويسجنك حيث لا يجوز أن يسجنك والله سائله عن سجنك، ويأخذ مالك ولا يجوز له أن يأخذ مالك، لكن اصبر كما صبر الإمام أحمد وغيره حتى لا تنفرط الجماعة؛ لأن الضرر الشخصي فقط يعود عليك أنت، أما العام لو حركت الأمة بأثرها لا شك أن الشر يعود إلى الأمة بأثرها؛ ولهٰذا لما جاء فقهاء بغداد للإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقت الواثق وقد تسلط كغيره من سلفه المعتصم والمأموم على الإمام أحمد قال: ماذا تريدون؟ قالوا: نريد أن هٰذا لا ولاية له، قال: اتقوا الله ولا تشقوا عصا المسلمين، مع أنه آذى الإمام أحمد أشد الأذية حتى يبقى للناس إمام، قال: حتى يستريح بر أو يستراح من الفاجر، يستريح الأبرار من أهل الخير والدين، أو يستراح من هٰذا الفاجر في فجوره وتبقى الأمة، ويبقى كيانها.

ثم ذكر حديث أن الدجال سيخرج معه نار ومعه نهر فمن وقع في نهره فقد خالف، أي: يجب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر أن يوقع في نار؛ لأن ناره ماء عذب طيب، ولا يجوز اتباعه فيما هو فيه.

۞ قال المؤلف: «قول أبي العالية: تعلموا الإسلام فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه، احذروا أن ترغبوا عن هٰذا الإسلام العظيم بعد أن منَّ الله تعالى عليكم به، وعليكم بالصراط المستقيم فإنه الإسلام، ولا تنحرفوا عنه شمالا ولا يمينًا، وعليكم بسنة نبيكم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإياكم وهٰذه الأهواء».

بقية الأثر: التي تورث بينكم العداوة والبغضاء، الأهواء والاختلافات هٰذه مردها إلى أن توجد في الأمة فيكم بغضاء.

ثم ذكر أن هٰذا قاله أبو العالية في وقت زمن كبار التابعين، وأبي العالية من كبار التابعين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، يقول تتبين لك هٰذه الآيات التي ساقها رَحِمَهُ ٱللَّهُ وتتبين لك الأصول الكبار، إذا كان هٰذا يقال في زمن التابعين، ويحذر كبار التابعين من هٰذا فما بالك بمن بعدهم.

قال المؤلف: «وأما الإنسان الذي يقرأ».

أي: هٰذه النصوص وأشباهها وهو آمن مطمئن أنها لا تناله، وهٰذا من أشد ما يجعل الإنسان لا ينتفع بقراءة القرآن، أن يقرأ هٰذه النصوص وكأن المخاطب بها غيره، فلا ينتفع، لا يستفيد لا يرى أن هٰذه النصوص قد وجهت له، مثلًا قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾﴾ [القارعة: ٤] هٰذا ليس موضع فرجة تتفرج على الناس أنت ستكون ضمن هٰذا الجمع الهائل، وهكذا قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾﴾ [القمر: ٧] ستكون واحدًا منهم، فتأمل هٰذه الآية!! على أنك في وسطهم، لا تتأمل هٰذه الآية كأن هناك أناسًا يبعثون وأنت تتفرج عليهم، هنا لا تنتفع وهكذا ما ذكره الله تعالى من هٰذه العبر، بهٰذه الآيات لا تتصور أن هٰذه الآيات كأن يخاطب بها غيرك، فإنك لا تنتفع.

قال المؤلف: «أما الإنسان الذي يقرأها وأشباهها من هٰذه الآيات وهو آمن مطمئن أنها لا تناله، ويظنها في ناس كانوا فبانوا، كانوا فزالوا آمنًا مكر الله، فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون».

ثم ختم بحديث ابن مسعود رضي الله عنه: خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطًا ثم قال: «هٰذا **سبيل الله**» ثم خط عن يمين وشمال هٰذا الخط خطوطًا، ثم قال: «**هٰذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه**» خط هٰذا الخط المستقيم وقال هٰذا سبيل الله لأن صراط الله تعالى مستقيم كما في الآية ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا﴾ خط عن يمين هٰذا الخط، وعن شماله خطوطًا، وقال هٰذه سبل طرق على كل سبيل منها شيطان يدعو إليها فعلى سبيل الرافضة شيطان، وعلى سبيل الجهمية شيطان، وعلى سبيل الخوارج شيطان، وعلى سبيل المعتزلة شيطان، وعلى سبيل النصارى شيطان، وعلى سبيل اليهود شيطان شياطين تدعو لتمنع الناس من سلوك هٰذا الطريق السوي كما قال الله عز وجل فيما توعد به الشيطان: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف: ١٧] فمراد الشيطان كما قال الأوزاعي رحمه الله: إن للشيطان محجتين لا يبالي بأيهما ظفر، أي: له طريقان لا يبالي بأيهما سلك العبد إفراط أو تفريط، لا يهمه أن يكون على حال أهل الإفراط أو التفريط المهم عند عدو الله أن يبعده عن الصراط المستقيم.

ولهٰذا من بعد عن الصراط المستقيم إما أن يكون من أهل الجفاء وإما أن يكون من أهل الغلو؛ لأن الصراط المستقيم وسط، فإما أن يزيد فيكون كحال الخوارج، وإما أن يكون من أهل الجفاء فيكون كحال المرجئة وأضرابهم، فالشيطان يريد أن يبعده عن هٰذا الصراط المستقيم، وتقدم أن مجاهدًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

قال المؤلف: «قال: البدع والشهوات».

هٰذا المراد بهٰذه السبل نسأل الله بأسمائه وصفاته أن يثبتنا ويمسكنا بالسنة وننهي بإذن الله بعد الصلاة البابين المتبقيين، ونبدأ إن شاء الله تعالى في كتاب «**شرح أصول الإيمان**» بعد صلاة المغرب إن شاء الله.

وَاللهُ أَعْلَمُ؛ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ(١).

(١) نهاية المجلس الثالث.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بَعْدُ:

۞ **قال المؤلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «باب ما جاء في غربة الإسلام وفضل الغرباء وقول الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ [هود: ١١٦]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: (بَدَأَ الإِسْلامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ». رواه مسلم وأحمد من حديث ابن مسعود وفيه: «ومن الغرباء؟» قال: «النُّزَّاعُ مِنَ القَبَائِل». وفي رواية: «الْغُرَبَاءُ الَّذِينَ يَصْلُحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاس»، وللترمذي من حديث كَثِير بن عبد الله عن أبيه عن جده: «طُوبَى لِلْغُرَبَاء الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ مِنْ سُنَّتِي».

وَعَنْ أَبِي أُمَيَّةَ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا ثَعْلَبَةَ رضي الله عنه فَقُلْتُ لَهُ: "يَا أَبَا ثَعْلَبَة!كَيْفَ تَقُولُ فِي هَذِهِ الآيَةِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة:١٠٥]؟"، فَقَالَ: "أَمَا وَاللهِ لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْهَا خَبِيراً، سَأَلْتُ عَنْهَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: (بَلْ ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنْ الْمُنْكَرِ حَتَّى إِذَا رَأَيْتُمْ شُحّاً مُطَاعاً وَهَوًى مُتَّبَعاً وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ وَدَعْ عَنْكَ الْعَوَامَّ فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّاماً الصَّابِرُ فِيهِنَّ مثل القابض عَلَى الْجَمْرِ لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ) قلنا: "مِنَّا أَمْ مِنْهُمْ؟"، قَالَ: (بَلْ مِنْكُمْ). رواه أبو داود والترمذي. وروى ابن وضاح معناه من حديث ابن عمر رضي الله عنه ولفظه: (إن من بعدكم أياماً الصابر فيها المتمسك بمثل ما أنتم عليه اليوم؛ له أجر خمسين منكم)، قيل: يا رسول الله منهم؟ قال: (بل منكم).

ثم قال: أنبأنا محمد بن سعيد أنبأنا أسد قال سفيان بن عيينة عن أسلم البصري عن سعيد أخي الحسن يرفعه، قلت لسفيان عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قال: نعم، قال: (إنكم اليوم على بينة من ربكم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتجاهدون في الله، ولم تظهر فيكم السكرتان: سكرة الجهل وسكرة حب العيش، وستحوّلون عن ذلك فلا تأمرون بالمعروف ولا تنهون عن المنكر، ولا تجاهدون في الله، وتظهر فيكم السكرتان، فالمتمسك يومئذٍ بالكتاب والسُنة له أجر خمسين) قيل: منهم؟ قال: (لا بل

منكم). وله بإسناد عن المعافري قال: قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ : (طوبى للغرباء الذين يُمسكون بكتاب الله حين يُترك ويعملون بالسُنة حين تطفأ».

هٰذا الباب يتعلق بغربة الإسلام، وبفضل من يكون غريبًا؛ بحيث أنه إذا وقعت غربة الإسلام فلتمسكه بالإسلام صار هو غريبًا، فإن الإنسان حين يصير غريبًا في الناس فإن المتمسك به تبع له يكون غريبًا، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [هود: ١١٦] هم القلة على امتداد الأزمة الذين يثبتون وينهون عن الفساد، ويدعون إلى الخير هم ينهون عن الفساد ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فهؤلاء هم البقية الذين يبقون، وهم الذين يسلمون وينجون.

ويقول النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في حديث أبي هريرة: «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء**» تقدم شرح الحديث، طوبى لهؤلاء الغرباء، طوبى: قيل هي شجرة في الجنة، وقيل إنها طوبى لهم لما يحصل لهم من الفضل والمزية العظيمة عند الله عَزَّوَجَلَّ، حيث ثبتوا على دين الله تعالى ولم يبدلوا كما بدل غيرهم.

❁من هؤلاء الغرباء؟!

جاءت هٰذه النصوص في بيان الغرباء من هم، فقيل: هم «**النزاع من القبائل**» -من هٰذه القبيلة فرد، ومن هٰذه القبيلة فرد، ماذا جمعهم مع أنهم قبائل شتى؟ جمعتهم غربة الدين والاستمساك به، فصاروا لاستمساكهم بهٰذا الدين العظيم صار الجامع لهم لا القبائل التي تجمع أهلها؛ وإلا فالواحد منهم يكون له قبيلة أعدادها كثيرة، لكن لأنه مستمسك بدين الله من بين أفراد قبيلة كثيرين وذاك كذلك، وذاك كذلك صاروا هؤلاء هم النزاع الذين يكونون من القبائل.

الرواية الأخرى أن هؤلاء «**الغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس**» لا شك أنه لا تقع الغربة إلا إذا حصل فساد، وإلا لو كان الأمر بالمعروف فاشيًا والصلاح ظاهرًا ما وقعت غربة الدين، وإنما الغربة تكون إذا انتشر الشر ولا سيما إذا كان الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر وأظهر المفسد إفساده فصار المستمسك بالدين يسعى أن يصلح في حال فساد الناس، في اللفظ الآخر: أنه يسعى إلى ما هو أعلى وأرفع من هٰذا، فهوا لا يكتفي بإصلاح نفسه بل يسعى إلى أن يصلح ما أفسد الناس اللفظ الآخر: «**فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتي**» فيحرص على أن يبين الحق وأن يظهره وأن يجليه، وأن تضح

سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على جليتها؛ بحيث يصلح ما أفسده المتهوكون والجهال والقائمون بالباطل من السنة، ويفترونه على السنة، فيبينه ويوضح الحق، ويرد جهالات الجاهلين، وانتحالات المنتحلين، وتأويلات المضللين.

هٰذه الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾ الآية [المائدة: ١٠٥] ما أكثر ما يجهل الناس معناها، يجهل كثير من الناس معنى الآية؛ لأن ظاهر الآية قد يفهم بعض الناس منه أنه إذا كان في نفسه غير ضال فإن ضلال غيره لا يضره، وهٰذا غير صحيح وفهم الآية على هٰذا المعنى كان الصحابة والتابعون رضي الله عنهم وأرضاهم ينهون عن أن تفهم الآية على هٰذا الحد، وروى الطبري أثرًا مفيدًا جدًا، عن جبير بن نفيل وهو من التابعين رضي الله عنه وعنهم جميعًا، يقول: «كنت في مجلس فيه مشيخة من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتذاكروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»، أي: وما أوجب الله تعالى منه، «فقلت وكنت أصغر القوم: ألم يقل الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾ يقول: فأقبلوا عليَّ بلسان واحد وقالوا: تنزع آية من كتاب الله لا تدري فيم نزلت»، أي: أنكروا عليه أن يستدل بالآية وهو لا يدري ما وجه الدلالة من الآية، كما هو حاصل والله المستعان أن ناسًا كثيرين لا يدرون بوجه الدلالة في الآية ويستدلون بها على ما لا علاقة للآية به، يقول: ثم أقبلوا على حديثهم حتى تمنيت أني لم أكن تكلمت، فلما أرادوا أن يقوموا قالوا لي: إنك شاب حدث، وإنك نزعت بآية لا تدري فيم نزلت؛ فإذا رأيت شحًا مطاعًا وهوًى متبعًا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك، هٰذا معنى الآية، وأظنهم قالوا: ولعلك تدرك ذلك، يقول: لا تصادم آيات الأمر بالمعروف ونصوص الأمر بالمعروف بالسنة بمثل أن تقول إن الله يقول: ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾، أين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا علمنا بذلك أن الآية ليست على ما يفهم بعض الناس لهٰذا قد يخطب الصحابي، يخطب أبو بكر رضي الله عنه أنكم تقرؤون آية في كتاب الله وتتأولونها على غير تأويلها، ويقرأ هٰذه الآية، وإني سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده**» بيان من كون الناس يفهمون النصوص على غير وجهها السوي.

❍ **إذًا هٰذه الآية لا تعني ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، وهٰذا ما جاء في حديث أبي ثعلبة رضي الله عنه. أنه لما سأله أبو أمية عن الآية قال: أما لقد سألت عنها خبيرًا، وهٰذا هو الواجب، الواجب أن يرد

الأمر إلى أهل العلم فسأل أبو أمية الصحابي الجليل عن معنى الآية؛ لأنه أعلم بنصوص كتاب الله منه؛ لأنه صحابي جليل، فقال: أما والله لقد سألت عنها خبيرًا، ثم ذكر له أنه سأل النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عنها فقال: «**بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر**» وهٰذا أمر ثابت معلوم من الين بالضرورة، إذًا متى يكون عليَّ بخاصة نفسي؟ «**حتى إذا رأيتم شحا مطاعا وهوى متبعا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بنفسك**».

معنى ذلك أن الناس ماذا صاروا؟ صاروا لا يقبلون، أما في عموم الأحوال فالناس يقبلون يحتاجون بعد توفيق الله إلى صبر، ومن أعانه الله أمده بالنية الصالحة، والتحمل على ما قد يأتيه من جهالات الناس فإنه بإذن الله تنجع دعوته ويبقى بدعوة الخير يذكر جاهلًا، يذكر ناسيًا يعلم جاهلًا، يقيم حجة الله عَزَّوَجَلَّ حتى على المعاند، فأما أن يقال للناس كفوا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا شك أن هٰذا باطل، ولا يصح أن يشاع في المسلمين.

قال المؤلف: « فعليك بنفسك».

أي: في هٰذا الحال.

قال المؤلف: «ودع عنك العوام، فإن من ورائكم أياما الصبر».

سماها أيام الصبر لشدة الحاجة إلى الصبر فيها والثبات.

قال المؤلف: «القابض فيهن على دينه كالقابض على الجمر».

لو أن إنسانًا أخذ جمرة وقبض عليها لوجد شيئًا عظيمًا جدًّا من المشقة.

يقول: الذي يقبض على دينه في تلك الأحوال التي يكون فيها هٰذا التغير الشديد بين إفراط وتفريط، وأحد يتكلم بلا علم وأحد يتكلم وينشر هوى، ويثب هو على السنة ويلازم الحق كالقابض على الجمر، كثير من الناس ينتقدونه، كثير من الجهال يعنفونه، كثير من الذين يكونون من أهل الأهواء ينفرون منه، ومع ذلك لا يهمه هٰذا لأنه قد أسلم وجهه لله تعالى وأراد وجه رب العالمين فلا ينظر إلى وجوه الناس، عند ذلك يشتد عليه الأمر حتى إنه قد ينتقض من أقرب الناس إليه من والديه، المهم أن يكون على بصيرة، ثم يلزم الحلم والصبر، فمعنى يصبر على هٰذا الحال يصبر على الناس، ولهٰذا قال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**الذي**

يخالط الناس ويصبر عليهم خير من الذي لا يخالطهم ولا يصبر عليهم» يحتاج إلى أن تتصبر وتعلم الناس السنة، وكم من إنسان صبر واستهزأ به من حوله من والديه ومن إخوانه وأقاربه ثم إن الله عَزَّوَجَلَّ جعل له حميد العاقبة، فهدى الله على يديه والديه وإخوانه ومن حوله، أما أن يكون الإنسان حمي الأنف هكذا ساعة تقال له الكلمة يقلب نفسه كأنه صحابي يعطي كل ما فيه، المشتكى لله ستتحمل.

ومر معنا في كتاب «**الأصول الثلاثة**» أنه لا بُدَّ الصبر، كما في سورة العصر ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾ [العصر: ١-٣] لا بُدَّ للمتواصين بالحق الثابتين عليه لا بُدَّ لهم من الصبر، أما أن لا يستطيع الإنسان التحمل ساعة يستهزأ به وينتقد لا يبيت الليل ويظل يشتكي ويتأوه، أنت لله عَزَّوَجَلَّ تعمل، وهٰذا الأمر يصيبك في الله في ذات الله عَزَّوَجَلَّ، والله تعالى يقول لنبيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡ﴾ [الأحقاف: ٣٥] يحتاج بعد تثبيت الله إلى عزيمة وصبر، وأن تهون عندك نفسك، كان ابن المسيب رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ لا تساوي نفسه عنده ذبابة، ما يهتم بما يقال من الناس، ما يكترث، مع ذلك كان من أكثر الناس أمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر، يحتاج الإنسان إلى أن يصبر ويحمده تعالى العاقبة في الدنيا والآخرة، إذا رأيت قد هدى الله على يديك والديك وإخوانك وأقاربك وجيرانك ومن كان يستهزأ بك صار يترحم عليك ويدعو لك، عرفت أن العاقبة الحميدة في الصبر، فعلى الإنسان أن يصبر.

۞ قال المؤلف: « فإن من ورائكم أيام الصبر القابض فيهن على دينه كالقابض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم».

الكلام موجه للصحابة، قلنا: منا أم منهم؟ قال: «**بل منكم**» انتبه هنا إلى أمر في غاية الأهمية، ليس معنى ذلك أن الرجل الذي يثبت في أيام المحن والفتن أعظم من الصحابة، حاشا لله ولا يقول هٰذا أحد؛ لأن فضيلة الصحبة لا يمكن أن يدركها أحد إلى قيام الساعة؛ لهٰذا قال عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ في الصحابة: «**لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**» فالقليل من الصحابة كثير؛ لأن الله شرفهم بالصحبة، إذًا ما المراد بقوله هنا؟ المراد بقوله في ثواب العمل، أما شرف الصحبة هٰذا فـهٰذا لا يدركه أحدٌ بعدهم بتاتًا، فمن هنا قال إن الأجور لهؤلاء مضاعفة، جاء في بعض الروايات أنه قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**إنكم تجدون على الحق أعوانًا ولا يجدون على الحق أعوانا**» هٰذا

من الفروق، لما أعز الله الإسلام وكثر الصحابة ﷺ صار بعضهم يعين بعضًا على الخير، يقول أولئك الغرباء لا يجدون أعوانًا فالواحد منهم يقوم بالحق ولا أحد منهم يعينه إلا الذي هو من أمثاله من الغرباء، فمن هٰذه الزاوية أما فضل الصحبة وشرفه لا يدركها أحد بعد الصحابة ﷺ.

ثم ذكر أن المتمسك بمثل ما أنتم عليه، هٰذا يدل على أنهم سلف، وحتى قوله مثل ما أنتم عليه فيه دليل وإشارة إلى الحديث السابق «**من دل على هدى كان له مثل أجر من تبعه**».

❍ **فالصحابة هم السابقون إلى الخير،** فمن عمل بعد الصحابة فالصحابة ﷺ مع نبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هم سلفه في هٰذا الخير، فهم الذين دعوهم الذين علموا الأمة ونشروا الخير فيها، فهو وإن كان مضاعف الأجر فالسبب في وصول الخير إليه بعد الله تعالى هو أن الصحابة نشروا وبثوا هٰذا الإسلام حتى وصل.

ثم ذكر قول سعيد: «إنكم اليوم على بينة من ربكم، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتجاهدون في سبيل الله».

يقصد الناس في زمنه زمن كبار التابعين.

❁ **قال المؤلف: «ولم تظهر فيكم السكرتان: سكرة الجهل، وسكرة حب العيش».**

سكرة الجهل من أفظع ما يكون، الجاهل لا يدري أنه جاهل وإذا ظن أنه عالم ثمة الخسارة، فصار يخبط فيما لا يحسن، ويتكلم فيما لا يعلم فهٰذه سكرة جاهل لا يدري أنه جاهل عياذًا بالله، وسكرة حب العيش بالتعلق الشديد بالدنيا وترفها وملذاتها وما يكون الإنسان على هٰذا التشبه الشديد، حتى إن بعض الناس صار يهمه إذا تغدى ماذا يتعشى، صارت همومًا للنفس، فقد قال عامر بن عبد قيس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد أتت له بنت عم له بطعام لذيذ طهته وتعبت فيه؛ فلما أراد أن يأكل وإذا بفقير عند الباب فأعطاه الطعام»، فقالت: «إنما طهوته لك» أي: تعبت فيه المرأة فأخذ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كسرا من خبز وشرب عليها ماء، وقال: «إن هٰذا البطن وعاء ما حشيته احتشى»، البطن كل ما وضع فيه يشبعه لو أكل تمر لشبع، لو أكلت خبزًا لشبع، يقول هٰذا وقال كلام معناه: ونجد عاقبة هٰذا عند الله، أي: هٰذا الطعام الذي أعطيناه إياه نجد عاقبته عند الله أما البطن فحتى لو أكلت كسرًا من خبز وجعلت عليها ماء امتلئ البطن وشبع الإنسان فكونه يشبع من الطعام الذي يساوي المئات أو الآلاف من الريالات هٰذا سيشبعه، وكونه يأكل من الطعام اليسير الذي

يكون في بيته ولا يتكلفه، وربما كان بقية أكل من غدائه أو نحوه الأمر سهل لا تكن هٰذه الأمور هي الهم؛ لأن الإنسان بقدر ما تعظم همته بقدر ما تصغر عنده هٰذه الأمور، وبقدر ما تكون هٰذه الأمور عظيمة مهمة عنده حتى وإنه على غدائه يفكر في عشائه ما هٰذه الهموم، فما ينبغي أن يتعلق الإنسان هٰذا التعلق الشديد بمثل هٰذه المآكل والحمد لله والمنة له تعالى، لو أن الإنسان يفكر في جوع أبنائه ماذا يطعمهم غدا ليس في البيت شيء، لكن كونه يفكر أي نوع آخذ هٰذا أو هٰذا آخذ من هٰذا المطعم أو ذاك، لا تبلغ الهمة إلى هٰذا ولا سيما من أهل الخير والدين أن يترفعوا عن مثل هٰذا.

❁ **قال المؤلف:** «وستحولون عن ذلك».

أي: ستتحول أموركم عن الحال التي أنتم عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنهي عن المنكر ويتغير الحال، فالمتمسك يومئذ بالكتاب والسنة له أجر خمسين، قيل: منهم؟ **قال:** «**بل منكم**».

ثم ذكر أيضًا حدًا في الغرباء: «**طوبى للغرباء، الذين يتمسكون بكتاب الله حين يترك، ويعملون بالسنة حين تطفأ**»، المهم يثبتون على الحق حتى لو ترك الحق أناس كثيرون.

❁ **قال المؤلف:** « باب التحذير من البدع، عَنْ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ قَالَ وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله كَأَنَّهَا موعظة مودع فأوصنا، قَالَ: (أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، وَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلافًا كَثِيراً، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِن بعدي عضوا عليها بالنواجذ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ). قَالَ الترمذي: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وعن حذيفة قال: «كل عبادة لا يتعبدها أصحاب محمد فلا تتعبدوها، فإن الأول لم يدع للآخر مقالاً، فاتقوا الله يا معشر القراء وخذوا طريق من كان قبلكم». رواه أبو داود.

وقال الدارمي: أخبرنا الحكم بن المبارك أنبأنا عمر بن يحيى قال: سمعت أبي يحدث عن أبيه قال: كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود-رضي الله- قبل صلاة الغداة فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد، فجاءنا أبو موسى الأشعري رضي الله عنه فقال: "أخرج إليكم أبو عبد الرحمن بعد؟ قلنا: لا، فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج قمنا إليه جميعًا، فقال له أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن! إني رأيت في المسجد آنفًا أمراً أنكرته، ولم أر والحمد لله إلا خيراً، قال: فما هو؟ فقال: إن عشت فستراه، قال: رأيت في المسجد قومًا

حلقًا جلوسًا ينتظرون الصلاة في كل حلقة رجل وفي أيديهم حصى فيقول: كبروا مائة، فيكبرون مائة، فيقول: هللوا مائة، فيهللون مائة، فيقول: سبحوا مائة، فيسبحون مائة، قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئًا انتظار رأيك أو انتظار أمرك، قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم، وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم شيء؟ ثم مضى، ومضينا معه، حتى أتى حلقة من تلك الحلق، فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ فقالوا: يا أبا عبد الرحمن! حصى نعد بها التكبير والتهليل والتسبيح، فقال: فعدوا سيئاتكم، فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم! هؤلاء صحابة محمد ﷺ متوافرون، وهذه ثيابه لم تبلَ، وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد أو مفتتحو باب ضلالة، قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن! ما أردنا إلا الخير، قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه، إن رسول الله ﷺ حدثنا أن قومًا يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم؛ وأيم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم، ثم تولى عنهم، فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك الحلق يطاعوننا يوم النهروان مع الخوارج».

هٰذا الباب في التحذير من البدع، وبيان خطورتها، ختم به رحمة الله تعالى عليه وخص التحذير من البدع بهٰذا الباب، تقدم الكلام بخطر البدع وأنها أشد من الكبائر، لكن أراد أن يختم بالبدع؛ لأن الكتاب في فضل الإسلام ولزوم التمسك به، وعدم الحيدة عنه؛ فأراد أن يحذر من البدع في آخر الكتاب، وهٰذا من فقهه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بعد أن بيَّن الذي ينبغي أن يثبت عليه حذر من ضده.

في آخره حديث العرباض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مشهور جدًّا فيه أن النبي ﷺ وعظ موعظة بليغة، وهٰذا الذي ينبغي للخطباء، الذي ينبغي للخطباء أن تكون خطبهم قائمة على الموعظة، وأن يحرصوا أن تكون الخطب مؤثرة، أما أن تكون الخطب لا ذكر فإن ذلك مناف لمقصود الخطبة، ثبت عن النبي ﷺ في ذكر الساعات التي تكون فيها الملائكة تكتب من أتى في الساعة الأولى كأنما قرب بدنة إلى آخره قال: فإذا دخل الإمام طوت الملائكة الصحف ودخلوا يستمعون الذكر، الخطيب ينبغي أن يذكّر ولهٰذا يقرأ السورتين الأعلى والغاشية ﴿فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ ۝١٠﴾ [الأعلى: ٩-١٠] الخطبة فيها تذكير، وهٰذا الذي ينبغي للخطيب أن يؤثر الناس لعل الله تعالى أن يرقق قلوبهم وأن يؤوبوا ويعودوا هٰذا هو المقصد الأهم والأكبر من الخطبة.

وعظنا ﷺ موعظة بليغة من شدة هٰذه الخطبة وبلاغتها؛ أن قلوبهم وجلت وأن عينهم ﷺ ذرفت بالدموع، فقالوا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع، المودع سيودع من يكلمهم، فأوصنا فقال: «**أوصيكم بتقوى الله** عَزَّوَجَلَّ» وهٰذه هي الوصية التي أمر الله بها الأولين والآخرين ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١] فأعظم ما يوصى به الناس تقوى الله، «**والسمع والطاعة**» **أي**: لولاة الأمور قطعًا في المعروف، أما في المعصية فكما تقدم لا يطاع أحد في معصية الله، «**والسمع والطاعة وإن أمر عليكم عبد**» لماذا خص العبد؟ لأن الناس قد يحتقرون الحاكم إذا كان عبدًا، قال: اسمعوا له وأطيعوا حتى لو كان عبدًا «**فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا**» الذي يرى الاختلاف من هو؟ هو الذي مات زمن النبي ﷺ وقت قوة السنة فلم يتغير عليه شيء، أما الذي يعيش فسيرى الاختلاف، أول ما حصل الاختلاف بعد موت النبي ﷺ بظهور المرتدين، الذي سيعيش سيرى الاختلاف ولا بُدَّ، «فعليكم»، مقابل بـهٰذا الاختلاف بشيئين «**فعليكم بسنتي**» وهٰذا واضح سنة رسول الله ﷺ، «**وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي**» فسمى الخلفاء الأربعة بالخلفاء الراشدين المهديين، وهٰذا تزكية لهم ﷺ، وبيان لكون الذين يخلفونه ﷺ على نفس المنهج الذي كان عليه رسول الله ﷺ، فلهٰذا أمر النبي ﷺ بلزوم سنته ولزوم سنتهم أيضًا، «**تمسكوا بها**» فقط، بلغ من شدة إيصائه إياهم أن يقول: «**وعضوا عيها بالنواجذ**» وهي الأضراس، متى يعض الإنسان على الشيء؟ أنه يخاف أن يذهب منه من شدة حرصه عليه يعض عليه عضًا لأن الأضراس من أقوى ما يمكن أن يمسك الشيء، فمن شدة توصيته لهم قال عضوا على هٰذه السنة أن لا تزاولوها ولا تفارقوها، ولا تزهدوا فيها استمروا عليها ثابتين، ثم قال: «**وإياكم ومحدثات الأمور**» محدثات الأمور هي هٰذه البدع التي تحدث بعد رسول الله ﷺ، «**فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**» وهٰذه قاعدة أن كل ما يحدث في دين الله عَزَّوَجَلَّ مما لا أصل له في هدي النبي ﷺ، وهدي السلف الصالح ﷺ فإنه بدعة، هٰذه قاعدة، يتلوا هٰذا قاعدة أخرى (أن كل بدعة ضلالة)، فلا يمكن أن يكون في البدع شيء مستحسن كما تقدم شرح ذلك.

قال المؤلف: «وعن حذيفة رضي الله عنه: كل عبادة لا يتعبدها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تتعبدوها».

العبادة التي لم يكن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتقربون بها إياكم أن تتعبدوا أنتم بها؛ لأن الدين قد كمل، والصحابة أعلم الناس بالعبادات النافعة، والتي هي على هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا طرأ لكم أن تحدثوا عبادة لم يتعبدها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فأنتم في هٰذا على غير هدي وعلى غير سنة، كل عبادة لله لا يتعبدها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تتعبدوها فإنكم بذلك تكونون محدثين مبتدعين هٰذا المعنى.

قال المؤلف: «فإن الأول».

أي: من خيارنا سابقينا وسلفنا.

قال المؤلف: «لم يدع للآخر مقالا».

أي: أن الأول سبق إلى كل خير.

الخير الذي سبق إليه الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم لم يدركهم أحد بعدهم فيه، فهم أعظم في تلك الخيرية، فإذا جاء أحد وزاد على ما كن عليه هدي الصحابة فاعلم أن ذلك منه غير محمود، لهٰذا قال صلى الله عليه وسلم في الخوارج يقول للصحابة: «**تحقرون صلاتكم مع صلاتهم**» أي: من شدة ما يبالغ الخوارج في الصلاة، هل كانوا محمودين بذلك؟ أبدًا، لأن الصحابة رضي الله عنهم أعْبَد الناس رضي الله عنهم وأرضاهم وأعرف الناس بهدي النبي صلى الله عليه وسلم والله تعالى أمر بإحسان العمل لا بمجرد إكثاره ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢].

أما أن تكثر العمل فقد يكون إكثارك للعمل على غير سنة، وعلى غير هدي، والله تعالى أمر بإحسان العمل، أما أن تكثره على غير هدي وعلى غير طريقة سوية فلست بذاك على أجر ولا على هدى، ولهٰذا قال عليه الصلاة والسلام لمعاذ: «**والله إني لأحبك، لا تدعن يا معاذ أن تقول في دبر كل صلاة مكتوبة: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**» إحسان العبادة بأن توقع على هدي النبي صلى الله عليه وسلم.

قال المؤلف: «فاتقوا الله يا معشر القراء، وخذوا طريق من كان قبلكم».

تقدم أن القراء هم أهل العلم والمتعلمون للعلم الشرعي، يقول: اتقوا الله والزموا طريق سلفًا كانوا قبلكم فإنهم كانوا خير منكم.

في الأثر الأخير الذي رواه الدارمي وسنده صحيح أن تلاميذ ابن مسعود رضي الله عنه وعنهم من شدة حرصهم على العلم كانوا ينتظرون ابن مسعود قبل أن يخرج لصلاة الغداة وهي صلاة الفجر؛ لأن واحد يستفتي، واحد يسأل، واحد يستشير، فيحبون أن يكونوا معه من أول النهار، فيأتون عند بابه من صلاة الفجر، فإذا خرج مشوا معه إلى المسجد، فجاء أبو موسى رضي الله عنه الصحابي الجليل أبو موسى الأشعري، «**فسألهم: أخرج عليكم أبو عبد الرحمن بعد قالوا: لا، فجلس معهم فلما خرج قال له أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن إني رأيت في المسجد آنفًا أمرًا أنكرته، والحمد لله لم أرى إلا خيرًا**»، أي: ما رأيت شيئًا من الفحش أو البذاءة أو الفساد، لكن رأيت شيئًا من التعبد لكني أنكرت هٰذا النوع من التعبد، قال: «**ما هو؟ قال: إن عشت فستراه رأيت في المسجد قومًا حلقًا**»، مجموعات متحلقين في كل حلقة رجل هؤلاء المتحلقون ماذا يفعلون، إنما يسبحون ويهللون ويكبرون لكن ليس التسبيح والتهليل والتحميد المعروف، وإنما على طريقة جماعية، فيهم مثل القائد، رجل ومعهم حصى، يقول: كبروا مائة، فتضج الحلقة الله أكبر، الله أكبر تضج الحلقة، فيقول هللوا مائة، فصاحوا لا إلٰه إلا الله، حتى يتموا مائة، وهكذا التسبيح، من حيث الموجود ذكر، لكن على هٰذه الهيئة وعلى هٰذه الطريقة الجماعية لا شك أن هٰذا محدث، قال: «**وماذا قلت لهم؟**»، صحابي من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ما قلت لهم شيئًا، قال: «**ما قلت لهم شيئًا انتظار رأيك**»؛ لأن أبا موسى هٰذا من أدب أهل العلم رأى أن ابن مسعود أعلم منه، فيقول مثل هٰذا الأمر، دع هٰذا الأمر يعالجه من هو أعلم مني وإن كنت أنكره لأنكرته وإنما أنتظر رأيك فيه، قال: «**أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم**» ما الذي يحتاج الإنسان أن يعد على نفسه وأن يلاحظه يقول: أنا أسأت كذا وقلت كذا، حتى يحاسب نفسه، أما الحسنات فلا تخاف عليها، تخشى أن تحسن حسنة فتفوت الملائكة، الملائكة ستكتب حسناتك، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، لكن انتبه لنفسك في سيئاتك مضى ومضوا معه، حتى أتى حلقة من تلك الحلق، سألهم: «**ما هٰذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن حصى**»، أي: المسألة سهلة، أتيت وأنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمير الكوفة بنفسك تسألنا، المسألة

سهلة يسيرة، مجرد حصى، نعد به التكبير والتسبيح والتهليل، قال: «**فعدوا سيئاتكم، فأنا ضامن ألا يضيع من حسناتكم شيء**»، ثم قال: «**ويحكم يا أمة محمد**»، توجع عليهم، «**ما أسرع هلكتكم**»، أي: هلاككم سريع، «**هؤلاء أصحاب محمد بينكم متوافرون**»، ما أعظمها من كلمة، ماذا يقول لهم؟ يقول: لماذا عندكم علماؤكم أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقبل أن تتصرفوا هٰذا التصرف لماذا لم تسألوهم؟ لماذا لم تقولوا نحن نريد أن نفعل كذا وكذا؟ تنظروا ماذا يقول لكم علماؤكم، يقولون لكم مباشرة هٰذا ابتداع لا يحل، اذكروا الله تعالى على غير هيئة جماعية لكن أظهر الأدلة وهٰذا أثر صحيح على أن الذكر الجماعي في مثل التلبية يلبي شخص، ويلبون وراءه، يهلل ويهللون وراءه أو في التكبير ليلتي العيد فكل هٰذا مبتدع؛ لأن هٰذه الأمور مطلقة لا تكون على هيئة جماعية، الذكر مشروع لكن بالشكل الجماعي هٰذا ابتداع، لكن هٰذا الذي أنكره لاحظ أن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنكره بقوة، قال: «**ويحكم ما أسرع هلكتكم**» وقال هٰذا الكلام الذي سيأتي، يقول: عندكم علماء أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم تخرجون هكذا من أنفسكم بفكرة لا تعرفون عليها فيه أدب كبير لطالب العلم.

إن طالب العلم ينبغي أن يراجع العلماء، وأنه قد يرى شيئًا من الأمور سهلاً يسيرًا مناسبًا حسنًا، فعليه قبل أن يتصرف مثل هٰذه التصرفات أن يسأل أهل العلم، ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل: ٤٣] يقول: هٰذا أمر عجيب منكم أصحاب محمد بينكم متوافرون وهٰذه ثيابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم تبل، هٰذه ثيابه حتى الآن لم يصبها البلى والتغير ولا يزال حديث الوفاة، هٰذا المعنى، وآنيته التي كان يتعاطى فيها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شرابه وأكله حتى الآن لم تنكسر أي: وفاته حديثة، ثم تحدثون مثل هٰذا، ثم قال: والذي نفسي بيده إنكم على أحد أمرين اثنين لا بُدَّ أن تختاروا بينهما، إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ لأن هٰذا الفعل ليس فيه إلا مجانبة هٰذه السنة، فإما أنكم وجدتم ملة أفضل من ملة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هٰذا الخيار الأول، ولو قالوه لكفروا أو الخيار الثاني أقروا به أو مفتتحوا باب ضلالة، فتحتم في المسلمين بدعة وضلالة، اختاروا أحد أمرين، لا أحد عاقل يقول: لقيت ملة أفضل من ملة محمد، فقالوا: حالفين بالله عَزَّوَجَلَّ والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير، أي: لا تتصور أننا نريد سوءًا وأن نحدث في الأمة بلاءً، وأنا نريد أن نناكف ونعادي السنة، إنما أردنا الخير بالذكر، وظننا أن هٰذه الطريقة طريقة لا إشكال فيها، فقال -وهٰذا موضع من المواضع المهمة في بيان أن المبتدع حتى وإن كان قصده حسنًا أنه يلام- قال: «**وكم من مريد للخير لم يصيبه**»، وهل كل من أراد الخير أصابه، إذا تحققت

النية الصالحة في إرادة الخير لا بُدَّ أن يتحقق الطريق الصحيح في الوصول إلى الخير، أما أن تتحقق النية الصالحة ثم لا يسلك الطريق الصحيح فهٰذه بدعة حتى لو بذل ماله وتعب وسافر وأجهد نفسه هو مبتدع، وكونه ذا نية صالحة لا تكفي، لا تكفي النية الصالحة إلا إذا كانت على وفق طريقة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف] قال الفضيل رَحِمَهُ اللَّهُ: «**أصوبه أخلصه**»، في بيان الآية، قال: وما أصوبه وأخلصه قال: إن العمل إذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل، وإذا كان خالصًا ولم يكن على هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يقبل، ولم يقبل إلا إذا كان خالصًا على هدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ بأن يكون على هدي رسول الله:

هٰذا الشرط الأول بالمتابعة، ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ بأن يخلص ولا يريد بعبادته إلا الله، إذا تحقق الشرطان صار العمل صالحًا، وإلا فإنه يرد على صاحبه.

قال المؤلف: «وكم من مريد للخير لا يصيبه».

ثم نقل المسألة إلى ما هو أشد من هٰذا كله، قال: أنا أتفرس وأظن ظنًا أن أمركم لن يقف عند حصيات تعدوا بها التسبيح، أن أمركم سيتطور من هٰذه البدعة الصغيرة إلى أن تصلوا إلى أن تكونوا خوارج، هو قال هكذا أظن، إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حدثنا أن قومًا يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، أو تراقيهم، وهم الخوارج، يقول: حدثنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن قومًا سيظهرون في الأمة يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، ويم الله لا أدري لعل أكثرهم يكونون منكم، وفي بعض الألفاظ أنه قال: «**والله ما أراكم إلا منهم**»، الذي أظن أنه سيتطور الأمر إلى أن تكونوا خوارج ثم تولى عنهم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: البدع أول ما تنشأ تكون شبرًا، صغير الشبر صغير أمره يسير يمكن السيطرة عليه، ثم تكون في الأتباع أزرعًا وأميالًا، دائمًا البدع تكون صغيرة، بعد ذلك الشبر يكون ذراعًا وأذرعًا، ثم تكون أميالًا ليس فقط الأمر اقتصر على الشبر.

۞ قال المؤلف: «فقال عمرو بن سلمة: فقلد رأيت عامة أولئك الحلق يطاعنوننا يوم النهروان مع الخوارج».

إن توقع ابن مسعود رضي الله عنه حصل، وإن فراسته تحققت، يوم النهراون هو اليوم الذي كانت فيه المعركة الكبيرة بين علي رضي الله عنه وبين عتاة وفجرة الخوارج الذين أخبر النبي صلى الله عليه وسلم كما في الحديث السابق: «**لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**» فتطور الأمر إلى هٰذا الوضع.

وهٰذا فيه في الحقيقة درس لطالب العلم إلى أن لا يحسن الظن برأيه وبمن هم من أمثاله من طلبة العلم، وأن يردوا الأمور إلى من هم أعلم منهم كما أمر الله عز وجل في قوله تبارك وتعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل] ولا سيما المسائل العظيمة المدلهمة التي يكون لها أثر على مستوى الأمة، فإن الجرم فيها يكون كبيرًا، لا تشجع أحد وتعنه على أمر حتى تتأكد أنه على سنة وعلى صواب لأنك بتشجيعك له هٰذا قد ينطلق في هٰذا الأمر وتزهق في هٰذا أرواح كثيرة وأنت في بيتك ما أزهقت روحًا ولا أطلقت رصاصًا، تسبب في هٰذا الأمر وربما كان بينك وبينه آلاف الأميال، والله سائلك عن كل دم أهريق في هٰذا مع أنك ما قتلت أحد، بسبب أن تزيين الشيء إذا كان على باطن فصاحبه له جرم عظيم أشد من جرم القتل في بعض الأحيان.

ولهٰذا روى ابن أبي شيبة وأبو داود وغيرهم أن النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر الفتن قال: «**اللسان فيها أشد من وقع السيف**»؛ لأن السيف قد يأتي إنسان فيقتل أحدًا ثم يأتي القاتل فيقتله وينتهي، ربما هو ما قتل أحدا وربما لم يقتل إلا واحدا، لكن اللسان هٰذا إذا أطلقته ربما أخذ بقولك الألوف، ومضوا، ولهٰذا احذر وانتبه غاية الانتباه أن تسبب في أمر يسألك الله عنه في موضع لم تطأه قدمك، وفي فتنة لم تشترك فيها اشتراكًا مباشرًا، فاحذر وكن على غاية الانتباه ورد الأمور إلى ما قاله الله عز وجل: ﴿وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ [النساء: ٨٣] تجعل الله وله الحمد والمنة للسنة أئمة ما تخلوا السنة من أئمة، رد الأمور إليهم وهم أهل الثقة وأهل الأمانة، وأهل تقوى الله، وحتى لو رأيت في بعض الأحيان أن الفتوى كان ينبغي أن تكون كذا أو كذا فهم أعلم منك وأكثر تجربة وأتقى لله تعالى منك، والأمة في ذمتهم لا في ذمتك، رد الأمور إليهم ولا تتقحم مثل هٰذه الأبواب، ولا تعن على باطل ولا على غيره لا بإشارة ولا بكتابة ولا بمعونة، بمال أو بلسان أو غيره، فإن ذلك مما تسأل عنه ويكون حسابك في

القيامة عسيرًا، وفي هٰذا دلالة على خطورة البدع، وأنها قد تكون ناشئة في البداية شيئًا يسير سهل يستسهله الناس ثم تكون عواقبه على هٰذا الحال.

وبذلك لله الحمد نكون انتهينا من هٰذا الكتاب، ونبدأ في الكتاب الرابع.

وَاللهُ أَعْلَمُ؛ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ(١).

ألقيت هذه المجالس من ليلة الثامن والتاسع
من شهر جمادى الأولى سنة ستة وثلاثين وأربع مئة وألف
في دورة التعليم الميسر بمسجد النخيل،الرياض
حرسها الله دارًا للإسلام والسنة.

(١) نهاية المجلس الرابع.